الفصل الثاني

هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأساسية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأساسية

يكتسب الفرد التنشئة الاجتماعية السياسية بشكل عام من الأسرة، والآباء، والأقرباء الآخرين، والقبيلة، والأصدقاء، والديوانية، والمقاهي، والحانات، والكنيسة، أو المراكز الدينية الأخرى، والنظام السياسي، والمدرسة، ووسائل الاتصال الجماهيري؛ وهلم جرا، وجوانب ذات صلة كقراءة المعلومات السياسية، والاستماع إلى البرامج السياسية في المذياع، ومشاهدة الفقرات السياسية في التلفاز، والتحدث السياسي أو المناقشة السياسة مع الأصدقاء، ومحتوى المعلومات المستلمة (وفقاً لأدراك الشخص المتعرض للتنشئة). وضمن هيئات التنشئة هناك المنشئون مثل الأشخاص والجماعات، والمؤسسات، والمنظمات، والأشياء، والأحداث التي تساهم أيضا في تنشئة الفرد. فالتنشئة الاجتماعية هي العملية الكلية لأولئك الهياكل والعمليات التي من خلالها يكتسب الأفراد والجماعات سلوكهم وتوجهاتهم السياسية [1]. وفي هذا المجال، قيل: "ولهيئات التنشئة الاجتماعية المهمة مثل الأسرة والكنيسة، والمدارس الأساسية، والتلفاز تأثير أكبر على العواطف في حين للهيئات الثانوية مثل المدارس الثانوية، والصحف تأثيراً أكبر على التوجهات الإدراكية." [2]

تُعرف هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأساسية (Primary Groups) على انها نوع من الجماعات التي تكون صلة الربط بينها وبين الفرد صلة مباشرة حيث تعد أول جماعة يتعامل معها الفرد وينمي أنماط سلوكه، أو هي أول جهة تنقل الفرد من المحيط الحياتي (البيولوجي) إلى المحيط الاجتماعي وعن طريقها يتفاعل الفرد مع المجتمع ويتعامل معه [3]. كما تعرف هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأولية على أنها الملاذ الدائم الصغير الحجم المتماسكة وغير الرسمية [4] التي تتسم بالاتصال المباشر والتي يجربها غالبية الأفراد بشكل

---

[1] Henk Dekker, Democratic Citizen Competence: Political-Psychological and Political Socialization Research Perspectives, in: Russell F. Farnen, et al, Democracy, Socialization And Conflicting Loyalties in East and West, op.cit, pp. 398, 401.

2 Ibid, p.398.

[3] محمد مصطفى زيدان، السلوك الاجتماعي للفرد وأصول الإرشاد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965، ص 39، 227. نقلا عن: محمد عدنان محمود الخفاجي، مصدر سبق ذكره، ص 39.

[4] وهناك من يعتبر الأسرة من الجماعات الرسمية، ولكن لم يقدم تبرير أو تعليل لذلك. أما عن سبب اعتبارها هيئة غير رسمية فيوضح (هربرت مكلوسكي) (Herbert McClosky) و (هارلود دهلكرين) (Harlod E. Dahlgren) بأنها جماعة أولية غير رسمية لان غالبية الأفراد يجربوها بشكل مشترك وتربط أعضائها علاقات حميمة ومستمرة ويندمج فيها الأعضاء في ضوء الشخصية الكاملة، بدلا مما يخص دورا محددا فقط. في حين أن الهيئات الرسمية لا يجربها بالضرورة غالبية الأفراد، فبعض الأفراد قد لا يلتحق بالمدرسة أو يتعين في دائرة حكومية وهو غير مجبور أن يفعل ذلك في غالب الأحيان، في حين لا مناص للفرد، في الظروف الطبيعية وفي معظم الأحيان، من أن يكون عضوا في الأسرة بعد ولادته. كما أن العلاقات في المؤسسات الرسمية غالبا ما يطبعها الجانب المصلحي والمؤقت وليس العلاقات الحميمة، أو العاطفية، (و صلات الدم

مشترك [1]. وتتميز العلاقات داخل هذه الجماعة بأنها علاقات حميمة ومستمرة والتي يندمج فيها الأعضاء في ضوء الشخصية الكاملة، بدلا مما يخص دورا محدد فقط [2] كالدور الذي يمارسه الفرد في العمل على سبيل المثال.من هنا فأن توضيح الاختلافات في السلوك والتوجهات السياسية يتطلب تفحص أو اختبار لهيئات التنشئة الاجتماعية السياسية ومحتويات وتصميمات رسائلها (هياكل التنشئة) [3]. ومن بين أهم هذه الهيئات الاجتماعية السياسية الأساسية التي يتناولها هذا الفصل هي هيئة الأسرة، وهيئة القبيلة، وهيئة النظراء.

obeikandl.com

وخصوصا بين أعضاء الأسرة الواحدة)، والمستمرة. ونتفق مع التفسير الأخير الذي يعتبر الأسرة هيئة غير رسمية. حول اعتبار الأسرة جماعة رسمية، أنظر: د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 327؛ وبلال خلف العمري، مصدر سبق ذكره، ص 47. وحول اعتبار الأسرة جماعة غير رسمية قارن مع:
Herbert McClosky & Harold E. Dahlgren, op.cit., p.757.

[1] Herbert McClosky & Harold E. Dahlgren, p.68.

[2] Geoffrey K. Roberts, op.cit, p. 175.

3 Ibid, p.398.

المبحث الأول

الأسرة:

يولد الإنسان معتمدا على غيره متمركزا حول نفسه، لا يهدف إلا إلى إشباع حاجاته البدنية. ولا يستطيع تأجيل أو تغير أو إعلاء أي منها، وهو في سلوكه اقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان. ويتحول الفرد، من خلال عملية التنشئة الاجتماعية السياسية، من كائن حياتي تتمثل فيه الصفات الحيوانية إلى كائن اجتماعي تتمثل فيه الصفات الاجتماعية [1] وتعتبر الأسرة [2] أول هيئة تقوم بهذه العملية، حيث أن أول ما تقوم به الأسرة هو إشباع حاجات الطفل المادية وحاجته إلى الحب والحنان وبناء على هذه الحاجات يكتسب الطفل تدريجيا هوية الأسرة الخاصة بها وتبعا لذلك يصبح قادرا على ان يميز ذاته بين الآخرين [3] كما وتقوم الأسرة بتحرير الفرد من الشخصانية الصرفة ورفعه تدريجيا إلى الاجتماعية الصرفه [4]. ونظرا للافتراض بأن للأسرة (Family) أهمية متميزة على سائر هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأساسية والثانوية، فسيتم التركيز بشكل مكثف وبنوع من التفصيل على هذه الهيئة في هذا الفصل. ومن أجل محاولة اعطاء صورة واضحة ودقيقة عن الأسرة يتطلب الأمر تعريف هيئة الأسرة أولا، وذكر تركيبتها ثانيا، ومعرفة أسباب عد الأسرة أهم هيئة تنشئة اجتماعية سياسية ثالثا، ودور الأسرة في التنشئة الاجتماعية السياسية رابعا. والعوامل المؤثرة في دورها خامسا.

المطلب الأول

تعريف هيئة الأسرة وتركيبها

أولا- تعريف هيئة الأسرة: تُعرف الأسرة على أنها جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية وتربوية، ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، وطفل سواء أكان من نسلهما أو عن طريق التبني [5]. وتُعرف

---

[1] د. عباس محمود عوض، في علم النفس الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1988، ص ص43-44.

[2] الأسرة: هي عبارة عن هيئة اجتماعية تنبعث من ظروف الحياة. وهي حتمية لبقاء الجنس البشري ويتحقق ذلك بفضل اجتماع الرجل والمرأة والاتحاد الدائم المستقر بينهم، حول ذلك انظر:
د. عبد الهادي الجوهري، أصول علم الاجتماع، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1986، ص16.
كما تشمل الأسرة الأولاد الذين هم نتاج هذا الاجتماع. وللمزيد من التفصيل حول تاريخ الأسرة وأنواعها، أنظر:
أ- إبراهيم مدكور، مصدر سبق ذكره، ص38.
ب- د. إحسان محمد الحسن، المدخل إلى علم الاجتماع الحديث، مصدر سبق ذكره، ص ص 121-122.

[3] د. صادق الأسود، الرأي العام والاعلام، مصدر سبق ذكره، ص179.

[4] جان لاكروا، علم الاجتماع لدى اوغست كونت، ترجمة منى النجار الرافعي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1977، ص99.

[5] G. Murdock, Social Structure, New York, McMillan, 1949, p.11.

أيضا الأسرة على أنها هيئة اجتماعية تنبعث من ظروف الحياة، وهي حتمية لبقاء الجنس البشري، ويتحقق ذلك بفضل اجتماع الرجل والمرأة والاتحاد الدائم المستقر بينهم [1]، كما تشمل الأسرة الأولاد الذين هم نتاج هذا الاجتماع [2]. تُعدّ الأسرة الهيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيه الطفل، وهي الجماعة الأولية التي تتميز فيها العلاقات والتفاعلات الاجتماعية بالمواجهة المباشرة ومن ثم تسعى الأسرة إلى تشكيل الوجود الاجتماعي للطفل. والأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي يمتلك فيها الطفل احتكاكا مستمرا، كما أنها تعد المكان الأول الذي تنمو فيه أنماط التنشئة الاجتماعية، أي تكوينه كشخصية اجتماعية ثقافية تنتمي إلى مجتمع بعينه وتدين بثقافة بذاتها [3].

بناء على ما تقدم، يُمكن أن تُعرف الأسرة على أنها هيئة تنشئة اجتماعية أولية، تتميز بمكان إقامة مشترك للأبوين والأبناء، وتقوم بالتنشئة الحياتية أو الجسمية والنفسية والاجتماعية السياسية للفرد.

ثانيا: تركيبة الأسرة: تتألف الأسرة في الغالب من الأبوين وأطفالهم فضلا عن الجد والجدة والأعمام والأخوال، ولكن سيتم تناول دور الأبوين بشكل عام، ودور كل من الأم والأب بشكل خاص لوقوع معظم مسؤولية التنشئة الاجتماعية على عاتقيهما.

1- دور الأبوين: يُعتقد أن للأبوين دورا حاسما على صعيد التنشئة الاجتماعية السياسية. من هنا تشدد جميع النظريات المتعلقة بنمو الطفل على خطورة الدور الذي يمثله الأبوان في حياة طفليهما وبناء شخصيته [4]. ويحرص العلماء، بالرغم من إجماعهم على أهمية الأسرة ككل وأثرها العميق في تنشئة الطفل الاجتماعية، على إبراز دور الأبوين بعامة والأم بخاصة في هذا المجال. فالوالدين يمثلان القوة الأولى المباشرة في التنشئة التي تمارس تأثيرها على الطفل

نقلا عن : محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 85، 433.

[1] د. عبد الهادي الجوهري، أصول علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص 16. الجدير بالذكر القول، أنه لم يُعد في بعض المجتمعات الأمريكية والأوربية خصوصا، قيام الأسرة على اتحاد رجل وامرأة إذ ظهر ما يسمى بزواج المثليين، أي اتحاد رجل برجل، وامرأة بامرأة. وقد جعلته بعض الولايات الأمريكية مثل ولاية كاليفورنيا اتحادا او زواجا شرعيا. ويعيش أحيانا معهم بعض الأطفال من زواج سابق لأحد المثليين أو بالتبني. وأصبح ذلك مقبول اجتماعيا في مثل هذه المجتمعات. حول ذلك: تجارب ميدانية قائمة على معيشتنا في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا لحوالي خمسة سنوات، 2000- 2004، 2008-2009.

[2] وهناك من يقسم أنواع الأسرة إلى الأسرة النووية، التي تشمل الأب والأم والأبناء، والأسرة الممتدة التي تشمل الجد والجدة والأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولاد العمة وأولاد الخال. حول ذلك راجع:
د. سميرة بنت محمد موسى، مصدر سبق ذكره، ص 164. للمزيد من التفاصيل حول تاريخ الأسرة وأنواعها، أنظر:
أ- د. إبراهيم مدكور (محرر)، مصدر سبق ذكره، ص 38.
ب- د. إحسان محمد الحسن، المدخل إلى علم الاجتماع الحديث، مصدر سبق ذكره، ص 121-122.
ج- ثريا التركي، هدى رزيق، مصدر سبق ذكره، ص 87.

[3] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 16.

[4] هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، مصدر سبق ذكره، 1985، ص 110-111.

منذ ولادته، ويظل تأثير هذه القوة حتى مرحلة متأخرة من العمر، بل وقد يظل مفعولها واضحا بشكل أو بآخر في سلوك الطفل طيلة حياته [1]. وفي هذا السياق وجدت أحدى الدراسات، ان 76,2٪ من أفراد عينة الدراسة يلجأون إلى أحد الوالدين عندما يصادفون مشكلات معينة في حياتهم، مقابل 1,7٪ منهم فقط يلجأون إلى أحد الأقرباء، ويلجأ حوالي 2,7٪ منهم إلى المعلمين، ويسعى حوالي 15,4٪ منهم إلى حل مشكلاتهم بأنفسهم [2].

فضلا عن ما تقدّم، أظهرت دراسة أخرى، بأن الوالدين احتلوا المرتبة الأولى (34,9٪) بين من يلجأ إليهم أفراد عينة البحث طلبا للنصيحة [3]. وذكر 47٪ من أفراد عينة دراسة ثالثة أن مصدر معرفتهم العامة تأتي من الأسرة مقابل 17٪ منهم من ذكر بأن مصادر معلوماتهم تأتي من المدرسين. وأشار 11٪ من أفراد العينة إلى كون الأصدقاء هم مصدر معلوماتهم. أي أن الأسرة سجلت أعلى نسبة كمصدر للمعلومات العامة لعينة البحث [4]. على النقيض من ذلك وجدت دراسة أخرى، بأن الأصدقاء يحتلون المرتبة الأولى وليس الوالدين في مجال مصادر المعلومات، ولكن في مجال توجيه النصح لهم عاد وأحتل الوالدين المرتبة الأولى (34,9٪)، في حين جاء الأخ والأخت في المرتبة الثالثة (13,2٪) والمدرس في المرتبة الرابعة (4,5٪) [5]. وتأكيدا على أهمية الوالدين في تنشئة الفرد والتأثير على سلوكه قد أثبتت، بما لا يقبل الشك، الإحصائيات التي جرت في مختلف بلاد العالم أن معظم المنحرفين يردون من بيوت هدمها الطلاق وسكنتها زوجة الأب أو زوج الأم، أو وفاة أحد الزوجين [6].

يُخلص مما تقدم، أن للأبوين دوراً مهماً في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية قد يمتد من الطفولة وحتى مرحلة متأخرة من عمر الإنسان. كما يمكن أن يستمر تأثيرهما في سلوك الفرد طيلة حياته، ويشكلان مرجعاً أساسياً لحل مشاكل الأبناء. ومصدراً للنصيحة، ومصدراً أساسيا للمعرفة والمعلومات، إذا ما قورنت بالأقرباء، والمعلمين، والأصدقاء، والأخوان والأخوات، كهيئات وأفراد تنشئة أخرى.

2- دور الأم: يؤكد العلماء على دور الأم الرئيسي والمركزي في تنشئة الطفل وبخاصة في السنوات الأولى من حياته. فالأم أول وسيط للتنشئة الاجتماعية، وهي أول ممثل للمجتمع يقابله الطفل، وهي الكافلة الأولى لكل حاجاته ورغباته، وهي التي تكسبه الرموز المختلفة، وهي التي تمنحه الحب والحنان والأمن والطمأنينة، وهي مركز تدور حوله انفعالاته، فهو يقلق

---

[1] د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 331.
[2] محمد بن شحات الخطيب، مصدر سبق ذكره، ص 123.
[3] فيصل السالم، أساسيات التنشئة السياسية والاجتماعية، مصدر سبق ذكره،، ص 108-109.
[4] أحمد جمال ظاهر، التنشئة الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، مصدر سبق ذكره، ص 118.
[5] فيصل السالم، أساسيات التنشئة السياسية والاجتماعية، مصدر سبق ذكره، ص 108-109.
[6] محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 73.

ويغضب ويحزن لدى غياب أمه عنه أو إذا أهملته، ويسرّ ويفرح ويطمئن إذا كانت حوله وقامت برعايته وإشباع حاجاته. وتؤمن الأم حاجة الطفل الصحية النفسية بتنمية إحساسه بالأمن وجعله يشعر بأنه محبوب ومقبول [1]. وفي هذا الصدد قيل: "تجمع نتائج الأبحاث والدراسات التي تناولت العلاقات بين الطفل وأمه خلال مراحل نموه، على أهمية هذه العلاقة، وأثرها الحاسم في النمو النفسي والاجتماعي والعقلي للطفل...، وأن أساس الصحة النفسية والعقلية والنمو النفسي السوي للطفل هو أن يمارس الوانا من العلاقات الحارة والحميمة مع أمه" [2].

وعلى صعيد الدور المتميز للأم وجد أن 50,4٪ من أطفال عينة بعض الدراسات يعتبرون الأم صاحب الفضل الأول في تربيتهم، مقابل 12,1٪ للأب، و 4,9٪ لجهات أخرى [3]. ووجدت دراسة أخرى، أن الأم تحتل المركز الأول (39,9٪)، وليس الأب (34,9٪) في لجوء الطلاب والطلبة إلى النصيحة عند مواجهة مشكلة [4]. وعّد 8,2٪ من أفراد العينة من التلاميذ أمهاتهم كأعظم الشخصيات المعاصرة في حياتهم بينما يرى 18,6٪ منهم أن آباءهم أعظم الشخصيات المعاصرة في العالم مقابل 4٪ منهم فقط يعتبرون أحد الأقارب أو الأصدقاء بمثابة أعظم الشخصيات المعاصرة في حياتهم [5].

وربما يعلل تراجع دور الأب مقابل الأم، كما ترى هذه الدراسة، إلى طريقة معاملة الآباء للأبناء التي تتميز عادة بالشدة أو الحزم أو تتميز بالتسيب واللامبالاة، أو غياب الأب، كما أكدت بعض الدراسات، لساعات طويلة خارج البيت، كما في المجتمعات العربية، ومشاهدة الأولاد لفترة قصيرة جدا [6]. وفي تعليل تفوق أهمية الأم على الأب في رعاية أفراد الأسرة، أكدت دراسة أخرى إلى أن الأسرة السعودية تتميز عادة بانشغال الأب بأعماله خارج المنزل وقيام الأم بتدبير أمور المنزل المختلفة بما فيها رعاية الأبناء. وأكدت الدراسة نفسها أن الأسرة في هذا البلد هي أسرة أبوية تكون السلطة فيها للأب [7]. أي أن النظام الاجتماعي يقتضي خروج الأب للعمل وبقاء الأم من أجل الاعتناء بأفراد الأسرة مما يجعلها في تماس أكبر مع أفراد الأسرة، وهذا ما يزيد من أهميتها بالنسبة لأفراد الأسرة.

وما يمكن ان يخلص إليه مما تقدم أن دور الأم أكثر أهمية من الأب في الأسرة على الأقل

---

[1] المصدر السابق، ص 62. أنظر كذلك: د. عمر أحمد همشري، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، مصدر سبق ذكره، ص 331.

[2] ولمزيد من التفاصيل حول هذه المعلومات القيمة، راجع: المصدر نفسه، ص 58-61. أنظر كذلك: هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، مصدر سبق ذكره، ص 111.

[3] محمد بن شحات الخطيب، مصدر سبق ذكره، ص 121-122.

[4] فيصل السالم، أساسيات التنشئة السياسية والاجتماعية، مصدر سبق ذكره, ص 108-109.

[5] محمد بن شحات الخطيب، مصدر سبق ذكره، ص 130-131.

[6] المصدر السابق، ص 122.

[7] هناء محمد المطلق، مصدر سبق ذكره، ص 11.

في السنوات الأولى من عمر الإنسان. بحكم كونها أول شخص يتصل به وارتباطها الوثيق به وقيامها المباشر والشخصي بتزويده الغذاء والحنان والأمان فلها الفضل الأول في تربيته. ولجوء الأبناء لها في مجال حل المشاكل والنصيحة أكثر من الآباء والأصدقاء والأقرباء. وعدها أعظم شخصية بالمقارنة مع الأصدقاء والأقرباء. وغياب الأب الطويل بالمقارنة مع حضور الأم المتواصل مع الأبناء. وشدة وصرامة وقسوة الأب في التنشئة بالمقارنة مع وداعة وحنان وعطف الأم.

3- دور الأب: إذا أرادت الأم تأدية دورها على الوجه الأكمل، فالضرورة تستوجب قيام الأب بتأمين كل ما من شأنه أن يساعد الأم ويهيئ لها الجو النفسي والإمكانيات اللازمة لرسالتها المطلوبة كتوفير المال الكافي والمسكن الملائم، والكساء والغذاء...من أجل تفرغ الأم لتربية الطفل وفي ذلك توفير الأمن النفسي للأم وبالتالي توفير الأمن النفسي للطفل لأن الأخير يستقي الأمن النفسي من أمه [1]. وبالرغم من ان الطفل لا يشعر بوجود أبيه شعورا مباشرا فهو يعيشه كقوة كبيرة في حياته، كما ان الرجال البالغين، كالأخ أو العم أو الجد، في الأسرة يشاركون الأب مكانته وان لم يكن ذلك على قدر واحد من النفوذ والسلطة [2]. ويمثل الأب، وخصوصا في الأسرة العربية، دورا اقل بروزا من دور الأم، خاصة في السنين الأولى من حياة الطفل. وهذا صحيح بنوع خاص في العائلة الكبيرة. فالأب يبقى في حياة الطفل الأولى صورة بعيدة، بعكس الأم. وقد أثبتت الدراسات النفسية أن وظيفة الأب لا تقتصر على كسب رزق الأسرة بتوفيره الغذاء والمسكن والكساء والوقوف موقف الحاكم الموجه الذي يضع للأسرة دستورها، ويملي قواعد النظام ويوقع العقاب في حالة الإخلال بهذه النظم والدساتير، بل تشمل كذلك وظائف نفسيه تتمثل بتقديمه لأبنائه ذكورا وإناثا غذاء روحيا نفسيا يقوم على العطف والحنان [3].

وتبدأ علاقة الطفل بأبيه في السنة الثانية من حياته حيث يزداد انتباه لوالده، ويتعرف عليه... وتتوثق علاقته بأبيه كلما كان الأب عطوفا ومحبا لطفله وزاد الاتصال بينهما..فيتجه التنبيه الاجتماعي المتبادل..ويبدأ اعتماده على أمه في الضمور تدريجيا، وفي الوقت نفسه يزداد دور الأب.... [4] إذ "يساعد وجود الأب في الأسرة على مساعدة الطفل على التخلي عن اعتماده على الأم، ويعدّ مصدرا رئيسيا للضغط على الطفل لتعديل علاقات الحب المبكرة بالنسبة لأمه، ويمثل الأب بالنسبة للطفل ممثلا للعالم خارج نطاق الأسرة ومصدر

---

[1] محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 62-63. ولمزيد من التفاصيل حول أسباب ازدياد دور الأب في تنشئة الطفل، راجع المصدر نفسه.

[2] د. هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، مصدر سبق ذكره، ص 111- 112.

[3] محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 62-63.

[4] المصدر نفسه، ص 62-63.

لنقل شعور الطفل بالنظام الاجتماعي" [1].

وتأكيدا على أهمية دور الأب في التنشئة الاجتماعية السياسية توصلت أحدى الدراسات إلى ان 18,6٪ من أفراد العينة من التلاميذ يرون أن آباءهم أعظم الشخصيات المعاصرة في العالم مقابل 8,2٪ منهم يعتبرون أمهاتهم أعظم الشخصيات المعاصرة في حياتهم بينما اعتبر 4٪ منهم فقط أحد الأقارب أو الأصدقاء بمثابة أعظم الشخصيات المعاصرة في حياتهم [2]. وفي السياق نفسه أصرت نسبة 65٪ من أفراد عينة أحدى الدراسات على أن الرجل الذي يحبوه ويحترموه أكثر من غيره هو الأب [3]. وحسب دراسة أخرى ظهر أن إعجاب المبحوثين يتركز بالدرجة الأولى على الوالد إذا ما خيروا بين الإعجاب بين الوالد ورجل الدين والفدائي والأستاذ [4].

فضلا عن ما تقدم. بينت أحدى الدراسات بأن 34٪ من مجموع عينة البحث، وبغض النظر عن أعمارهم، أقروا بأن الرجل الذي يحترموه ويقدروه أكثر من غيره هو الأب مقابل 33٪ للرجل العسكري، ومقابل 17,7٪ لرجل الفكر والعلم، ومقابل 12٪ لزعيم الدولة، ومقابل 8٪ للمدرس، ومقابل 6٪ لرجل الدين [5]. وبينت دراسة أخرى أن 51٪، من أفراد العينة المبحوثين ينشدون دائما النصيحة والإرشاد من أفراد الأسرة وخاصة الأب [6]. أما نتائج دراسة أخرى فوجدت العكس، حينما أشارت النتائج إلى أن الأم تحتل المركز الأول 39,9٪، وليس الأب 34,9٪ في لجوء الطلاب والطلبة إلى النصيحة عند مواجهة مشكلة معينة [7].

وبالمقارنة مع الأم في مستوى الفضل في تربية الفرد وجد أن 50,4٪ من مبحوثين أحدى الدراسات يعتبرون الأم صاحب الفضل الأول في تربيتهم مقابل 12,1٪ للأب، و 4,9٪ لجهات أخرى [8]. ويجمع كبار علماء النفس والمنظرين للشخصية وأصحاب نظريات التعلم، ان الأب يشكل بالنسبة للأبناء، نموذجا اجتماعيا وعاطفيا، يعمل الأبناء على محاكاته وتقليده وتمثل أدواره، فالأب بما يمتلكه من سلطة وقوة، وخبرة ودراية، وشرعية، وقدرة على العقاب والمكافأة، والجاذبية يمثل النموذج ذي القوة الاجتماعية في التأثير على الأبناء، وهو بذلك يقوم بدور النموذج الاجتماعي في سلوكه وتصرفاته [9]. وحصول الرجل على مكانة متميزة بين

---

[1] نبال فوزي الشلبي، مصدر سبق ذكره ، ص 48.
[2] محمد بن شحات الخطيب، مصدر سبق ذكره، ص 130-131.
[3] أحمد جمال ظاهر، التنشئة الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، مصدر سبق ذكره، ص 117.
[4] فيصل السالم، أساسيات التنشئة السياسية والاجتماعية، مصدر سبق ذكره، ص 110.
[5] أحمد جمال ظاهر، التنشئة الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، مصدر سبق ذكره، ص 116.
[6] المصدر نفسه، ص 118.
[7] فيصل السالم، أساسيات التنشئة السياسية والاجتماعية، مصدر سبق ذكره، ص 108-109.
[8] محمد بن شحات الخطيب، مصدر سبق ذكره، ص 121-122.
[9] محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 64.

أولاده في بعض المجتمعات يعود إلى التراث الاجتماعي السائد والأمن الذي يوفره الأب في معظم الأحيان [1].

يتضح مما تقدم أن دور الأب هو دور مكمل ومساعد للأم خصوصا في الفترة الأولى من حياة الطفل كما في توفيره المسكن والغذاء والكساء والحماية للأم وبالتالي للطفل، ووظيفة نفسيه وروحية تتمثل بالعطف والحنان، فضلا عن ربط الطفل بالحياة خارج نطاق الأسرة ومصدر لنقل شعور الطفل بالنظام الاجتماعي، وعدّه أعظم الشخصيات المعاصرة بالمقارنة مع الأم والأقرباء والأصدقاء، واحترامه أكثر من الرجل العسكري ورجل الفكر والعلم وزعيم الدولة والمدرس ورجل الدين، والإعجاب به أكثر من الفدائي ورجل الدين والأستاذ، واللجوء إليه للنصيحة والإرشاد، وعدّه نموذجا اجتماعيا وعاطفيا، يعمل الأبناء على محاكاته وتقليده وتمثل أدواره، ومكانته المتميزة بحكم التراث الاجتماعي السائد. ولكن بالمقارنة مع الأم، يتم اللجوء إليه أقل من الأم في مجال النصيحة، وعدّ الأم أفضل من الأب في مجال التربية، ولكن له مكانة متميزة بين أولاده، في بعض المجتمعات، بحكم التراث الاجتماعي السائد والأمن الذي يوفره الأب في معظم الأحيان.

وما يمكن ان يخلص إليه مما تقدم أن دور الأم أكثر أهمية من دور الأب في الأسرة في بعض المجتمعات، لما توفره من ما يحتاجه الوليد من غذاء وحنان، على الأقل في السنوات الأولى من عمر الإنسان، وما تقدمه من اتصال مباشر ومستمر ونصائح وحلولاً لمشاكل الأبناء وكونها أقل شدة وصرامة من الأب، رغم أن الأخير يشكل نموذجا وقدوة اجتماعية ووسيلة لأبناء وربطهم بالبيئة الاجتماعية المحيطة خارج نطاق الأسرة أكثر من الأم بحكم التقاليد الاجتماعية.

المطلب الثاني

أسباب عدّ الأسرة أهم هيئة ودورها في التنشئة الاجتماعية السياسية

أولا- أسباب عدّ الأسرة أهم هيئة تنشئة اجتماعية سياسية: تفترض الدراسة أن هيئة الأسرة هي أهم هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأساسية والثانوية، وذلك لعدة أسباب، يذكر منها ما يأتي:

1- الأولى في الترتيب الزمني: تُعد الأسرة الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل [2] والأولى في الترتيب الزمني التي يتصل بها الفرد [3]. فالأسرة هي أول بيئة أو محيط اجتماعي

---

[1] أحمد جمال ظاهر، التنشئة الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، مصدر سبق ذكره، ص 117.

[2] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 18.

[3] Eric Rowe, op.cit, p.18.

تتولى الفرد منذ حياته المبكرة وتعمل على إشباع حاجاته الأساسية [1]، وتكاد تحتكر الأسرة عملية الوصول إلى الأفراد في السنوات التكوينية المبكرة من أعمارهم [2] إذ: "..تتضح أهمية الأسرة "كونها خير الهيئات (البيولوجية) الاجتماعية لإنتاج الأطفال ووقايتهم ورعايتهم في فترة الطفولة الطويلة التي تتصف بالعجز والاعتماد على الغير..." [3]؛ و"نظراً لعجز الوليد النسبي، وانحسار خبرته في هذا المحيط الضيق (الأسرة)، لذلك نجد ان معظم الاتجاهات الأولى التي يكتسبها الطفل تكاد تنحصر في محيط الأسرة..." [4]؛ و"تعد هذه المرحلة من أهم الفترات النمائية لما يحدث من تشكيل الأنا وبداية نمو الضمير أو الأنا الأعلى، والذي يتشكل عبر أساليب التنشئة الوالدية والملاحظة والتقليد مما يسهم في أستدماج القيم والمعايير والاتجاهات التي تتميز بها الثقافة الفرعية التي ينتمي إليها الآباء".

ان قضاء الطفل بداية حياته مع الأسرة، وهي البداية التي يكون فيها الطفل أكثر تقبلا واستجابة للتنشئة الاجتماعية السياسية، يعطي الأسرة أهمية كبيرة [5]. إذ: "تعتبر فترة ما قبل المدرسة، أي الفترة التي يقضيها، تقريبا بشكل دائم، الفرد مع أسرته، من أهم الفترات في تشكيل معالم سلوكه الاجتماعي، والذي يؤثر بالطبع على سلوكه السياسي مستقبلا [6]؛ و "إن التنشئة الاجتماعية المبكرة التي يكتسبها الطفل هي التي تطبع الاتجاهات الجديدة عندما تتسع دائرة اتصالاته..أي من الصعب تغير خبرات الطفولة بخبراته الجديدة"؛ ذلك أن "الطفل يتعلم في أحضان الأسرة النماذج الأولية لمختلف الاتجاهات والعواطف مثل الحب والكره والغيرة، وبعض القيم مثل التعاون، والتنافس، والخنوع ..." [7]؛ فضلا عن ما تقدم "..بإمكان الأب والأم والإخوة الكبار تلقين ابنائهم، واخوانهم الصغار القيم والمعارف، والسلوكيات، التي يسعون لغرسها ببساطة ويسر، حيث ان الصغار في مراحلهم العمرية المبكرة يكونون على استعداد للتلقي والاستماع فيمكن اعطاؤهم (المهارات)..." [8].

---

[1] د. سمير خطاب، مصدر سبق ذكره، ص 48. كذلك أنظر: د. سعود محمد العتيبي، مصدر سبق ذكره، ص 19؛ د.عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 330.

[2] ريجارد داوسن وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 153. كذلك أنظر: د. سعود محمد العتيبي، مصدر سبق ذكره، ص 19.

[3] محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 54، 49. ولمزيد من التفاصيل حول الوظائف (البيولوجية) والثقافية راجع: د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 329-330؛ د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 20. وحول دور الأسرة في نقل الثقافة، راجع: سلوى محمد هادي علي، مصدر سبق ذكره، ص 29.

[4] د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 289-290

[5] د. صادق الأسود، مصدر سبق ذكره، ص 177.

[6] د. سمير خطاب، مصدر سبق ذكره، ص 48.

[7] د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 289-290.

[8] بلال خلف العمري، مصدر سبق ذكره، ص 47-48.

2- التنشئة في الأسرة أشد كثافة وأطول زمنا واستمرارية وتلقائية: تكون التنشئة في الأسرة أشد كثافة وأطول زمنا، وعملية مستمرة، تتم بصفة تلقائية انسيابية غير محددة بأوقات معينة أو أماكن معينة كبقية معظم هيئات التنشئة الأخرى [1]. ان هذه العلاقات الأسرية التي تتميز بالتلقائية التي يجدها أعضاء الأسرة في تعاملهم مع بعضهم البعض، وخاصة بالنسبة للأطفال، تعطي للطفل فرصة إصدار ألوان متعددة من السلوك الذي تتناوله الأسرة بالتشكيل والتعديل [2].

3- قوة الروابط الشخصية والاتصال في الأسرة: يشير الباحثون إلى تأكيد صحة الفرض القائل بأنه كلما ازدادت الروابط الشخصية وعوامل الاتصال بين أفراد العائلة ازداد تأثير العائلة [3]. وقد يمكن القول أن الأسرة في بعض المجتمعات تنفرد أو يزيد تأثيرها على تنشئة الفرد، مقارنة بنظيراتها في الدول الأخرى، بحكم طول بقاء الفرد مع أسرته واستمرار اتصاله معها حتى بعد أن يصبح بالغا أو راشدا أو حتى بعد الزواج وتأسيس بيت خاص به خارج بيت أمه وأبيه، بالإضافة إلى قوة الروابط العاطفية التي تربط الفرد بأسرته. وتأكيدا على وجود مثل هذه العلاقة الطويلة بين الفرد وأسرته وجدت إحدى الدراسات ان غالبية طلاب الكلية (79,6٪) يقيموا مع أسرهم أو مع بعض أفرادها، ووجدت الدراسة نفسها بأن اقامة الفرد الطالب مع أسرته كان له تأثير في مجال مشاركته السياسية [4].

4- قوة الاتصال والتعاون بين أفراد الأسرة: ان انفراد الأسرة بكونها النموذج الأمثل لهيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأساسية، التي تتميز فيها العلاقات الاجتماعية بالمواجهة بين أعضائها، والتعاون على أساس من الود والحب [5]، وقوة الروابط الشخصية والعاطفية بين أعضائها، بالمقارنة مع بقية هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأخرى، يزيد من تأثيرها على سلوك الفرد، الذي قد يستمر طيلة العمر على الفرد بحكم قوة هذه الروابط الشخصية والعاطفية [6]. ويصدد احتمال استمرار تأثير تنشئة الأسرة على الفرد طيلة العمر توصلت أحدى الدراسات العربية، وعلى خلاف الدراسات الغربية، إلى أن دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية السياسية في بعض المجتمعات لا يضعف نتيجة التقدم الحضاري، وإلى ظهور

---

[1] د. سمير خطاب، مصدر سبق ذكره، ص 48. كذلك أنظر:
د. فوزية دياب، مصدر سبق ذكره.

[2] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 19.

[3] Richard Dawson, Kenneth Prewitt and Karen Dawson, op.cit, p.114.
نقلا عن: أحمد جمال ظاهر، التنشئة الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، مصدر سبق ذكره، ص 39، 82.

[4] د. سعد جمعة إبراهيم، مصدر سبق ذكره، ص 118.

[5] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 19، كذلك أنظر: د. سمير خطاب، مصدر سبق ذكره، ص 48.

[6] ريجارد داوسن وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 153.

وسائل تنشئة جديدة، ويسبب دورة الحياة. فالأسرة السعودية، كما وجدت هذه الدراسة، يستمر تأثيرها القوي وغير المحدود في كل مراحل الفرد بما فيها مرحلة النضوج. وتعزو هذه الدراسة ذلك كون الأسرة العربية تُعد من أهم الهيئات التي تعتني بالفرد وتلبي احتياجاته ليس فقط في مرحلة الطفولة بل أيضا في مرحلة المراهقة والنضج. كما تعزو ذلك أيضا إلى ارتباط مكانة الفرد الاجتماعية بمكانة أسرته الاجتماعية. هذا بدوره زاد من قوة الولاء والترابط الأسري والتسليم لسلطة الأسرة على جميع أفرادها [1]. وتعزز نتائج بعض الدراسات الميدانية أهمية دور الأسرة منقطع النظير. هكذا بينت أحدى الدراسات أن نسبة الأطفال الذكور الذين يرون أن أعظم الشخصيات المعاصرة في حياتهم إنما هم الآباء والأمهات معا بلغت 19,4٪ من جملة أفراد عينة الدراسة من التلاميذ، وهي أعلى نسبة أعطيت للوالدين مقارنة بالأصدقاء وغيرهم [2]. كما بينت الدراسة بأن ما يزيد على 36٪ من التلاميذ والتلميذات معا يميلون إلى أن يصبحوا كآبائهم أو أمهاتهم مقابل 21,3٪ يرغبون أن يصبحوا مثل أقاربهم أو أصدقائهم، بينما يرغب 12,5٪ فقط منهم في أن يكونوا مثل معلميهم، و30,1٪ منهم يرغبوا أن يصبحوا كأناس آخرين متميزين في بعض الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية [3]. كما وجدت دراسة أخرى، أن 78,1٪ من عينة المبحوثين يحترمون أسرهم مقابل 18,3٪ وامتناع 3,7٪ عن الإجابة [4]. وبينت دراسة ثالثة بأن 51٪ من أفراد العينة المبحوثين بأنهم ينشدون دائما النصيحة من أفراد الأسرة وخاصة الأب [5]. وبخصوص قوة الروابط بين الفرد وأسرته توصلت أحدى الدراسات إلى أن ما يجب أن يلاحظ أن حب الأسرة لا زال قويا في عقول طلاب هذه المجتمعات إلى درجة اتفق فيها 92,2٪ من المبحوثين بأن لا شيء أسوء من الشخص الذي لا يحترم أو يضحي من أجل أسرته [6].

5- قوة الرابطة العضوية: يقوم الطفل في الأسرة لذاته وبذاته، بمعنى أن قيمته لا ترجع إلى ما يؤديه من عمل أو خدمات للجماعة أو لمدى قدرته وكفاءته في قيامه بالأدوار المتوقعة منه، وإنما مصدر هذه القيمة أنه عضو في هذه الجماعة [7]. وهذا على خلاف باقي هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية القائمة على ارتباطات مصلحيه.

---

[1] د. سعود محمد العتيبي، مصدر سبق ذكره، ص 46.

[2] محمد بن شحات الخطيب، مصدر سبق ذكره، ص 130-132. ومن الدراسات الأخرى التي تؤكد صحة هذه النتائج راجع المصدر نفسه. وللمقارنة مع دراسة واحدة أثبتت تفوق أثر المدرسة على الأسرة، راجع المصدر نفسه، ص 132.

[3] المصدر نفسه، ص 143.

[4] فيصل السالم، أساسيات التنشئة السياسية والاجتماعية، مصدر سبق ذكره، ص 109.

[5] أحمد جمال ظاهر، التنشئة الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، مصدر سبق ذكره، ص 117.

[6] Ahmad J. Dhaher, "Culture and Politics in the Arab Gulf States, in: Tawfic E. Farah & Yasumasa Kuroda, op.cit., pp.69- 72.

[7] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 19.

6- أهمية التنشئة في الطفولة: أن ما ينشأ عليه الطفل في الصغر يستخدمه كمعيار يقيس ويحكم به الأشياء عندما يكبر. وأن التنشئة الاجتماعية السياسية في مرحلة الطفولة سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة [1]، وهي في معظمها عفوية ولا شعورية وغير مباشرة، تؤثر على سلوك الإنسان بشكل عام. وتؤثر بلا وعي على سلوكه السياسي عندما يكبر ويبلغ سن المراهقة والرشد اللاحق [2]. ومن المعروف جدا، وفق أدبيات التنشئة الاجتماعية السياسية، أن كلما كانت التنشئة الاجتماعية السياسية غير مباشرة وعفوية تركت تأثير لا واعي أكبر على سلوك الإنسان. وتتم التنشئة في هذه المرحلة في الأسرة مما يعطيها هذه الأهمية.

7- تأثير الأسرة في حياة الفرد: تؤثر الأسرة، على سبيل المثال، في التحصيل الدراسي لإفراد الأسرة من الطلاب، هكذا عزت 37,6٪ من الطالبات المشمولات بالدراسة الميدانية سبب تفوقهم إلى العوامل الأسرية مقابل 34,4٪ من الطالبات غير المتفوقات. ومن بين هذه العوامل الأسرية السلبية يذكر سؤ أساليب التنشئة الاجتماعية، وتفكك الأسرة، وانخفاض المستوى الاجتماعي والاقتصادي وكثرة الالتزامات الأسرية وزواج الطالبة أثناء الدراسة، والاغتراب والبعد عن الأهل [3].

8- دور الأسرة في التكوين النفسي والشخصي: أشارت نظريات علم النفس، وخاصة في مجال النمو النفسي، إلى أهمية دور الأسرة الفعال في التكوين النفسي للأبناء، فالأسرة تمارس هذا الدور من زاويتين أساسيتين: الأولى هي إن الطفولة هي المرحلة التكوينية الحساسة لتشرب المؤثرات الأسرية بصفة خاصة والاجتماعية بصفة عامة، والثانية طبيعة الأسرة ذاتها كجماعة اجتماعية، حيث تتصف بخصائص الوحدة والاستمرار والتضامن والعلاقات المتبادلة، مما يجعل من الأسرة بيئة فعالة وحاسمة في تشكيل شخصية الطفل.

ويكاد يتفق العلماء على ما للعلاقات والاتجاهات داخل محيط الأسرة من أثر حاسم يؤدي بشكل مباشر إلى تحديد مدى ما يتصف به الأبناء من استقرار نفسي، ومن تكيف، ومن مظاهر سلوك ممكن أن يتعلمها الأطفال داخل الاسرة لتكون اساسا لتعاملهم الاجتماعي خارجها، ومشكلات سلوكهم بصورة عامة. وتؤكد نظريات التحليل النفسي على أثر السنوات الأولى في تكوين وتشكيل شخصية الطفل، وعلى أثر الخبرات الصادمة (traumatic experiences) في هذه الفترة، في ظهور العصاب واضطرابات الشخصية في المراحل

---

[1] Robert L. Cord, James A. Mederos, and Watter S. Jones, An Introduction to Political Science, New York, Appleton-Centurey-Crofts, 1974.
نقلا عن: المصدر نفسه، ص 19.

[2] د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 289-290.

[3] دراسة تناولت أثرة التنشئة الاجتماعية للأسرة على التحصيل الدراسي للطالبات في جامعة الإمارات العربية المتحدة. ولمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع: د. طلعت إبراهيم لطفي، مصدر سبق ذكره، ص 66-69.

Obeikandl.com

التالية [1]. إذ "يولي العلماء الأسرة عناية خاصة لما لها من تأثير حيوي وأساسي في تكوني البناء الأساسي للشخصية. إذ يتحدد في إطار هذا البناء وفي نطاقه ترجمة الناشئ للقيم والخبرات الجديدة التي يتعرض لها في مستقبل حياته. وتقوم الأسرة بوظيفة نفسية من خلال تنمية الطفل نموا نفسيا سليما، وتعمل على الارتقاء بصحته النفسية، وإشباع حاجاته ودوافعه الأساسية، وتزوده بالحب والحنان، وتعمل على حمايته وإشعاره بالأمن والأمان، وإبعاده عن المواقف التي قد تعرضه للأذى أو الخوف أو القلق، بما يساعده على التكيف مع بيئته ومجتمعه على النحو المطلوب" [2]؛ و "تتوقف تنشئة الطفل تنشئة سوية على مدى قدرة الأسرة على العمل على توفير بيئة اجتماعية سليمة له منذ لحظة الولادة، عن طريق تهيئة بيئة أسرية تمكنه من التفاعل مع أفراد الأسرة، لتنمية قدراته الجسمية والعقلية والاجتماعية والنفسية إلى أقصى حد ممكن في جو من الود والمحبة والأمان والاستقرار" [3]؛ و "أن الأسرة السوية هي الركيزة الأولى في بناء شخصية الطفل وخاصة في سنواته الخمس الأولى بوصفها الإطار الزمني لبعض الوظائف الحيوية تجاه الطفل وتدريبه على فن الحياة المجتمعية" [4].

9- الأسرة أساس التركيب البنائي لأي مجتمع [5]: تُعد الأسرة من أهم الأركان التي يعتمد عليها المجتمع في تنشئة وتطبيع الطفل. ويحدد كل مجتمع قيمه ومعاييره التي تمثل خلاصة التراث الثقافي لتاريخ هذا المجتمع وعن طريق الأسرة تنتقل هذه القيم إلى الجيل الناشئ الجديد [6]. إذ أن "...الأسرة هي مجموعة ثقافية، لأنها تجمع تحت سقف واحد وفي ارتباط ودي حميم أشخاصا مختلفي العمر والجنس يتولون تحديد وتحديد الطرق والأساليب والمواصفات الاجتماعية التي يجري عليها المجتمع الذي يولدون فيه، فالأسرة كما يصفها تقوم بعمل مشغل ثقافي من حيث نقل التقاليد القديمة وخلق قيم اجتماعية جديدة، ولذل فأن الأسرة في روحها وتنظيمها تعكس الثقافة في تاريخها" [7].

10- دور الأسرة في استمرار النوع الإنساني: تعتبر الأسرة وسيلة الاستمرار المادي للمجتمع من خلال تزويده بأعضاء جدد عن طريق التناسل، وتتولى الاستمرار المعنوي لهذا المجتمع عن

---

[1] هناء محمد المطلق، مصدر سبق ذكره، ص 10. أنظر كذلك: د. محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون, التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية، مصدر سبق ذكره.

[2] حول الوظيفة النفسية للأسرة والمزيد من التفاصيل حول الوظيفة الاجتماعية للأسرة راجع: د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 328-329.. وحول قيام الأسرة بتوفير الأمن والأمان، كذلك راجع: د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 20.

[3] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 20.

[4] نايف النوايسه، مصدر سبق ذكره، ص 23.

[5] د. سعد جمعة إبراهيم، مصدر سبق ذكره، 1984، ص 118.

[6] د. محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون، مصدر سبق ذكره.

[7] محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 54، 49.

طريق تلقين قيمه ومعايير سلوكه واتجاهاته وعاداته للأطفال [1]. أنها أهم المؤسسات التي أقامها الإنسان لاستمرار حياته في الجماعة وتنظيمها [2].

ما يُخلص إليه مما تقدم، يعزى عدّ الأسرة من بين أهم هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأساسية والثانوية إلى كونها تشكل الوحدة الاجتماعية الأولى في الترتيب الزمني التي ينشأ ويتصل فيها الفرد، والتي تعمل على إشباع حاجاته الأساسية، وكون التنشئة فيها أشد كثافة وأطول زمنا، وأكثر استمرارية، والعلاقة فيها أكثر تلقائية وعاطفية وشخصية واتصالية، وأصالة العضوية فيها، واستمرارية تأثيرها في الفرد، وقوة التضامن بين أعضائها، وتأثيرها في السنوات الأولى في تكوين وتشكيل شخصية الطفل، وعدّها الوحدة الأساسية في التركيب البنائي لأي مجتمع من المجتمعات، وبعدّها وسيلة الاستمرار المادي للمجتمع من خلال تزويده بأعضاء جدد عن طريق التناسل، وتوليها الاستمرار المعنوي لهذا المجتمع عن طريق تلقين قيمه ومعايير سلوكه واتجاهاته وعاداته للأطفال، وكونها أهم المؤسسات التي أقامها الإنسان لاستمرار حياته في الجماعة وتنظيمها بالمقارنة مع باقي هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأخرى.

ثانيا- دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية السياسية: يُفترض أن أهمية الأسرة يرجع إلى الأدوار المهمة التي تقوم بها في التنشئة الاجتماعية السياسية، لعل من بينها يُذكر ما يأتي:

1- بناء الشخصية: لقد أتضح من خلال أحدى الدراسات الميدانية، بأن هناك أهمية لدور الأب في المساهمة في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية لأبنائه الذكور، وفي التأثير على تكوين شخصياتهم وبالتحديد على تكوين مفهوم الذات لديهم والثقة بالنفس وبالآخرين والشعور بالكفاءة في المواقف الاجتماعية ونمو قدرات على تكوين علاقات ناضجة مع الناس. ويعتمد دور الأب هذا على نمط التنشئة الاجتماعية السياسية الذي يتبعه مع أبناءه [3]. وينظر الذكور والإناث للأب على أنه مركز السلطة في الأسرة، وأنه المسؤول الأول عنها، وإن الابن الذكر يتأثر على الدوام بنوع العلاقة التي تقوم بينه وبين مركز السلطة [4]. كما وجدت الدراسة نفسها بأن الأب يعتبر من أهم الأشخاص في حياة ابنته [5].

---

[1] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 21.

[2] المصدر نفسه، ص 18. ولمزيد من التفاصيل حول أسباب أهمية الأسرة، راجع: د. عباس مكي و زهير حطب، مصدر سبق ذكره، ص 8-9، 15-16.

[3] نبال فوزي الشلبي، مصدر سبق ذكره، ص 46-49.

[4] المصدر نفسه، ص 47.

[5] المصدر نفسه، ص 47-51.

Openkandil.com

2- إكساب القيم الاجتماعية السياسية الايجابية والسلبية: يكتسب الطفل داخل الأسرة بعض القيم مثل التعاون والتضحية والبذل والعطاء والوفاء والصدق والتسامح والعطف على الآخرين وتحمل المسئولية [1] أو عكسها. ولقيم التعاون والتسامح أو نقيضها، كما سنرى في الفصل الثالث، أبعاد سياسية على المجتمع السياسي. فالتنشئة على التسامح الاجتماعي، على سبيل المثال يؤدي إلى التسامح السياسي. وما تشهده بعض المجتمعات من مظاهر العنف والصراعات الاجتماعية السياسية ما هو إلا انعكاس لنمط التنشئة الاجتماعية السياسية الذي يتلقاه الفرد في الأسرة.

3- التنشئة على التكيف والطاعة أو العكس. تشكل الأسرة المظهر الأول لاستقرار الأولاد واتصالهم في هذه الحياة، لأنها تكسبهم اللغة الإنسانية ورموزها، وتدمجهم في الإطار الثقافي وتورثهم إياه، وتروض نزعاتهم ودوافعهم وتكسبها بالصبغة الاجتماعية وتعلمهم أنماط السلوك الإنساني، من ضبط وتحكم وتعاون وتحدد لهم أدوارهم الاجتماعية، فتشكل شخصياتهم وسلوكهم وتكسبهم القدرة على التكيف والتوافق النفسي والاجتماعي [2]. وتكمن أهمية الأسرة في تطبيع الفرد على نمط معين من العادات والتقاليد أي نقل تراث المجتمع فهي ترمز إلى الأصالة بإعطائها الطابع المميز للفرد وتميزه عن غيره من المجتمعات [3]. وعلى الرغم من تعدد علاقات الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة (9- 12 سنة) وارتباطه بالمؤسسات المختلفة كالمدرسة وجماعات الأصدقاء، إلا أن علاقته مع والديه تؤثر تأثيرا كبيرا في تشكيل الجانب الأكبر من شخصيته، وتسهم في توحده مع عدد من الأنماط الثقافية والقيم التي يتكون منها البناء الاجتماعي والسياسي [4]. فضلا عن ما تقدم، تقوم الأسرة بتدريب الفرد على المهارات المختلفة [5]. أن تعود الفرد على الطاعة والتكيف الاجتماعي يؤدي إلى الطاعة والتكيف السياسي. ويحصل أن يحدث العكس نتيجة قصور أو عيب في التنشئة الاجتماعية السياسية فينشأ الفرد على التمرد السياسي. وما تشهده العديد من المجتمعات من أحداث عنف، حتى في أوقات الانتخابات وأثناء عملية الاقتراع، كما يجرى في الانتخابات في بعض المجتمعات إلا مؤشرا على قصور في التنشئة على التكيف والطاعة [6].

---

[1] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 20.
[2] محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 54.
[3] أمل محمد معطي، مصدر سبق ذكره، ص 225.
[4] د.سمير خطاب، مصدر سبق ذكره، ص 48-49.
[5] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 19.
[6] نقلت العديد من الفضائيات والمحطات التلفزيونية مشاهد من أحداث العنف السياسي الذي جرى أثناء قيام المواطنين بالإدلاء بأصواتهم عند مراكز صناديق الاقتراع في بعض المحافظات المصرية. ومن هذه المحطات الجزيرة والحرة والعربية، شباط (فبراير) و آذار (مارس) 2006.

4- التنشئة على المشاركة أو العكس: يمكن أن يكتسب الصغار مهارة المشاركة [1] في اتخاذ القرار الأسري [2]، والأخير يساعد على تنمية الشعور بالمسئولية الاجتماعية وتنمية وتعميق الشعور بالانتماء والاتجاه نحو المشاركة السياسية والرغبة في الإسهام لتحقيق أهداف عامة أو لمواجهة وحل مشكلة اجتماعية [3]. إذ "يكمن دور الأسرة في جعل الأبناء يكتسبون قيما سياسية وقيما اجتماعية ذات أبعاد سياسية تشجع أو لا تشجع على المشاركة ..." [4]. وتأكيدا على دور الأسرة في هذا المجال، وجدت أحدث الدراسات بأن موقف الأهل يشكل مؤشرا ايجابيا أو سلبيا تجاه طفلهم لمشاركته في النشاطات الطليعية وتحديدا في مجال مشاركته في المعسكرات الصيفية [5].

5- إكساب الولاء للوطن أو العكس. يمكن أن تساهم التنشئة في الأسرة في إكساب الولاء للأمة والمجتمع السياسي أو عدم الولاء لهما. فقد اتضح من خلال عدد من الدراسات بأن الكثير من الهويات السياسية الأساس المهمة كالولاء للأمة والمجتمع السياسي يتم تكوينها في محيط الأسرة [6]. وفي هذا المجال توصلت دراسة إلى أن تنشئة الطفل على حب الأسرة والولاء لها تُعد النواة الحقيقية لتكوين عاطفة حب الوطن بأسره [7]. وتوصلت دراسة أخرى إلى الأمهات تقوم بدور جليل في التنشئة على الحفاظ على ذاكرة الوطن وعلى الهوية وأرضعن أبناءهن وبناتهم حب الوطن والحنين إلى البيت، وأمل العودة، وآلاف الحكايات عن البطولات والأبطال القدامى والمعاصرين الذين حاربوا دوما ضد الغزاة، من أجل بناء الوطن [8]. من ناحية أخرى، يمكن أن تؤدي الأسرة، وبسبب قصور في التنشئة وأسباب أخرى، إلى التنشئة على عدم الولاء، هكذا يمكن القول أن التنشئة الاجتماعية السياسية في الأسرة في بعض المجتمعات هي من بين أهم الأسباب التي قادت وتقود إلى خلق انقسامات في الولاء بين السكان ذوي الأصول العرقية والطائفية [9]. ومن بين أسباب التنشئة على عدم الولاء للوطن عدم انسجام ثقافة الأسرة مع

---

[1] محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 49.

[2] Richard Dawson, Kenneth Prewitt, and Karans Dawson, op. cit., p. 23.
نقلا عن: بلال خلف العمري، مصدر سبق ذكره، ص 48.

[3] د. سعد جمعة إبراهيم، مصدر سبق ذكره، ص 118.

[4] أحمد ذيبان الربيعي، مصدر سبق ذكره، ص201-203

[5] أمل محمد معطي، مصدر سبق ذكره، ص 161.

[6] ومن هذه الدراسات، أنظر:

A- Freed I. Greenstein, Children & Politics, New Haven, Yale University Press, 1965.

B- Robert D. Hess & Judith V. Torney, op.cit.
نقلا عن: ريجارد داوسن، وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 161.

[7] أمل محمد معطي، مصدر سبق ذكره، ص 227.

[8] عليان عبد الله سليمان الحولي، مصدر سبق ذكره، ص 10-11.

[9] مشاهدات ميدانية من واقع الملاحظة في العراق، 1991-2006.

ثقافة المجتمع أو قد تختلف عنها بقدر يتفاوت في مداه وشدته، وكما تكون الأسرة يكون الأطفال في أغلب الأحيان، ويتوقف هذا الوضع بالنسبة للأسر المختلفة في المجتمع على درجة تماسك النظام الاجتماعي وتكامل الثقافة في المجتمع [1].

6- إكساب الولاء للنظام السياسي أو العكس: تساهم الأسرة في اكتساب المشاعر الأولية الإيجابية أو السلبية تجاه السلطات السياسية وتجاه الامتثال لقواعد ورغبات من هم في السلطة [2]. أي يحصل ان تقوم الأسرة بشكل مباشر أو غير مباشر بتشجيع أبناءها على الولاء للنظام السياسي أو التمرد عليه. إذ "تبين ان الاتجاهات السياسية الأساسية، كالانتماءات والولاءات (كالولاء للنظام السياسي)، والقيم، يغرسها الأب في أطفاله، ويتأثر بها الأطفال بعد بلوغهم وتشكل قيمهم من خلال علاقتهم بالنظام السياسي وطرق مشاركتهم السياسية، وأنواع توجهاتهم، وأنواع الأحزاب السياسية التي يشاركون فيها" [3]. فقد وجد على سبيل المثال أن ضعف الشعور بالثقة بالحكومة لدى الأطفال مصدره الوالدين [4]. ومن بين عدم التنشئة على الولاء للنظام السياسي هو عدم انسجام ثقافة الأسرة مع ثقافة المجتمع أو أختلافها عنها بقدر يتفاوت في مداه وشدته [5]. ومن بين الأسباب الحقيقية لعدم الولاء لنظام سياسي ما هو قيام العديد من الأسر وبشكل مباشر وصريح بتنشئة أبناءها على عدم الولاء لهذا النظام تحت أسباب ودوافع عديدة [6].

7- إكساب الارتباطات والانتماءات الحزبية: تعتبر الأسرة عامل أساسي جدا في ما يتعلق ببناء نسق القيم وتكوين وتعديل وتغيير الاتجاهات وتحديد وتغيير نمط السلوك والخصائص المميزة للشخصية. كما يتم عن طريق الأسرة نقل الارتباطات والانتماءات الحزبية من الوالدين إلى أبنائهما [7]. وتبين ان الاتجاهات السياسية الأساسية، كالانتماءات والولاءات، والقيم، يغرسها الأب في أطفاله، ويتأثر بها الأطفال بعد بلوغهم وتشكل قيمهم ... وأنواع توجهاتهم، وأنواع الأحزاب السياسية التي يشاركون فيها [8]. وتشجع العديد من العوائل العراقية بطرق مختلفة ولأسباب عديدة الانضمام إلى الأحزاب السياسية، وما ظهور الأحزاب

---

[1] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 54. وسيتم التطرق إلى مزيد من الأسباب والعوامل التي تؤثر في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية في الفصل الثالث.

[2] ريجارد داوسن وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 161.

[3] Richard Dawson, Kenneth Prewitt, and Karans Dawson, op. cit., p. 23.
نقلا عن: بلال خلف العمري، مصدر سبق ذكره، ص 48.

[4] د. إسماعيل علي سعد، علم السياسة، مصدر سبق ذكره، ص 309.

[5] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 54.

[6] مشاهدات ميدانية من واقع الملاحظة في العراق، 1991-2000.

[7] Herbert H. Hyman, op.cit, pp.78-85.

[8] Richard Dawson, Kenneth Prewitt, and Karans Dawson, op. cit., p. 23.
نقلا عن: بلال خلف العمري، مصدر سبق ذكره، ص 48.

العراقية العديدة بعد سقوط نظام الحكم السابق في العام 2003 إلا مؤشرا على ذلك. فانتماء أولاد العوائل المتدينة إلى أحزاب سياسية دينية وطائفية مؤشر آخر على ذلك [1].

8- إكساب المعلومات السياسية: يحدث أن تكون الأسرة مصدرا من مصادر حصول أعضائها على المعلومات بما فيها السياسية. هكذا أثبتت دراسة بأن الأسرة لا زالت، بالرغم من دور أجهزة الاتصالات الحديثة كالمذياع والتلفاز، مصدرا رئيسيا من مصادر المعلومات السياسية للأفراد خاصة في منطقة الشرق العربي. فقد أشار 27٪ من أفراد العينة، بقدر حوالي نصف عدد أفراد العينة، إلى أن الأسرة هي مصدر معلوماتهم السياسية [2]. كما توصلت دراسة أخرى إلى النتيجة نفسها حين وجدت بأن 45,13٪ من أفراد العينة، من الذكور والإناث، ذكروا بأن الأسرة هي مصدر معلوماتهم مقابل 24,19٪ ممن يحصل على معلوماته السياسية من التلفاز وتنخفض النسبة تنازليا مع هيئات التنشئة الأخرى كمصادر للمعلومات. يتضح مما تقدم، أن نتائج هذه الدراسة تشير إلى هيمنة الأسرة واستقطابها للأبناء ووقوفها كأحد أهم مؤسسات التنشئة التي يعتمد عليها الأفراد في الحصول على المعلومات لاسيما السياسية، ثم يأتي بعد ذلك التلفاز، ثم الجرائد، بينما ظهرت بقية الهيئات الأخرى كالكتب والمدرسة وجماعة الأصدقاء كهيئات ثانوية في هذا المجال [3].

9- التنشئة على الأدوار الاجتماعية: تلعب الأسرة دورا كبيرا في التنشئة على الأدوار الاجتماعية وبضمنها السياسية. هكذا يجمع كبار علماء النفس والمنظرين للشخصية وأصحاب نظريات التعلم، ان الأب يشكل بالنسبة للأبناء، نموذجا اجتماعيا وعاطفيا، يعمل الأبناء على محاكاته وتقليده وتمثل أدواره، فالأب بما يمتلكه من سلطة وقوة، وخبرة ودراية، وشرعية، والقدرة على العقاب والمكافأة ، والجاذبية فأنه يمثل النموذج ذي القوة الاجتماعية في التأثير على الأبناء، وهو بذلك يقوم بدور النموذج الاجتماعي في سلوكه وتصرفاته [4].

10- تحديد الهيئات التي يتصل بها الفرد: يحصل أن تكون الأسرة سببا في اختيار هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية التي يتصل بها الفرد، وذلك من خلال الوضع الاجتماعي والبيئة الاجتماعية الذي توفره الأسرة [5]. إذ يقول العلامة العراقي (علي الوردي) أن أطفال الأسر المهاجرة إلى العراق يكتسبون قيم جديدة، كالقيم القبلية والمحلية القائمة على الشجار

---

[1] مشاهدات ميدانية من واقع الملاحظة في العراق، 2003-2006.
[2] أحمد جمال ظاهر، التنشئة الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، مصدر سبق ذكره، ص 116.
[3] د. سمير خطاب، مصدر سبق ذكره, ص 131-132.
[4] محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 64.
[5] Eric Rowe, op.cit., pp.18-19.

Openkandil.com

والمعارك، تختلف عن قيم آباءهم وذلك بحكم احتكاكهم بنظرائهم الأطفال عند اللعب معهم في الشوارع أو أزقة الحي [1].

يتضح مما تقدم أن الافتراض بأن الأسرة تُعد أهم هيئة اجتماعية سياسية بالمقارنة مع بقية هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية في بناء الشخصية يعود إلى أدوارها المتميزة في التنشئة الاجتماعية السياسية في مجال بناء الشخصية، كما في تكوين مفهوم الذات لديهم والثقة بالنفس وبالآخرين والشعور بالكفاءة في المواقف الاجتماعية ونمو قدرات على تكوين علاقات ناضجة مع الناس أو نقيضها، وإمكانية إكساب الطفل القيم الاجتماعية السياسية الإيجابية أو السلبية، كما في إكسابه بعض القيم مثل التعاون والتضحية والبذل والعطاء والوفاء والصدق والتسامح والعطف على الآخرين وتحمل المسئولية [2] أو عكسها، والتنشئة على التكيف والتوافق النفسي والاجتماعي والطاعة الاجتماعية أو العكس، وكسب الأدوار الاجتماعية، ونقل تراث وثقافة المجتمع إلى الجيل الجديد، وإكساب مهارات المشاركة أو نقيضها، وإكساب الولاء للأمة والمجتمع السياسي، والنظام السياسي، أو عدم الولاء لهم، وإكسابهم الولاء لأيدلوجية سياسية معينة، والمعلومات السياسية، وتحديد الهيئات التي يتصل بها الفرد.

ثالثا: العوامل المؤثرة في دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية السياسية.

يحدث أن تظهر عوامل أو أسباب تمنع من عدّ الأسرة هيئة التنشئة الاجتماعية السياسية الوحيدة أو المحتكرة بشكل مطلق لعملية التنشئة الاجتماعية السياسية، ولعل من بين تلك الأسباب أو العوامل يُذكر ما يأتي:

1- عدم وجود مواقف سياسية للوالدين أو الرغبة في نقلها لأبنائهم. قد يحدث ان لا تكون للوالدين توجهات سياسية أو ليس لديهم الرغبة في نقلها إلى أولادهم إذا وجدت لديهم مثل هذه التوجهات. مما يعني أنه يمكن أن لا يكون للأسرة تأثير في هذا المجال.

2- عدم استقرار وتطابق توجهات الوالدين. يحصل أن ما يراه الأب أسلوبا صائبا في التنشئة لا يقابله دعم من قبل الأم أو العكس. فيحاول كل منهم أن ينشئ طفله حسب رؤيته فيتمزق الطفل بين ثقافتين، ونمطين متناقضين من التنشئة [3]. أي يزداد تأثير أي من الوالدين على أطفاله قوة عند ما يتم دعمه من قبل الوالد الآخر، والعكس هو الصحيح، حيث يتضاءل تأثير أي من الوالدين على ابناءهما عندما يتخذ الوالد الآخر موقفا مخالفا [4]. ويبدو ان التطابق

---

[1] د. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سبق ذكره، ص 164-165.
[2] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 20.
[3] عليان عبد الله سليمان الحولي، مصدر سبق ذكره، ص 10.
[4] ريجارد داوسن وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص 166-172.

بين الوالدين في التوجهات السياسية يزداد كلما زادت العلاقة الحميمة بينهما [1]. والجدير بالذكر القول أن من بين أسباب عدم استقرار وتطابق توجهات الوالدين هو عدم تقارب المستوى التعليمي والثقافي للوالدين. إذ يؤدي الأخير إلى عدم التفاهم المشترك للوالدين وبالتالي يؤدي إلى عدم استقرار الأسرة [2]. وأن عدم استقرار الأسرة قد يجعل الطفل يبحث عن نموذج آخر يقتدي به... [3]. وتجمع نتائج الدراسات التي تناولت اثر العلاقة بين الوالدين على شخصية الأبناء، ان البيت الذي يسوده الدفء والانسجام بين الوالدين يقدم للأبناء نموذجا اجتماعيا وعاطفيا سويا، وقدوة صالحة، يساعدهم على تعلم نماذج من السلوك الاجتماعي والتكيفي السوي، أما البيت الذي يسوده عدم الانسجام ويغلب فيه جو من المشاحنات والخلافات فلا يستطيع ان يقدم للأبناء إلا نموذجا اجتماعيا وعاطفيا متناقضا ومضطربا وقدوة سيئة، حيث يعيش الأبناء في أجواء متوترة تؤثر سلبيا في نموهم العقلي والجسمي والانفعالي والاجتماعي [4]. ما يمكن قوله مما تقدم أن عدم تطابق توجهات الوالدين قد يفسح المجال لتأثير هيئات تنشئة أخرى غير الأسرة في تنشئة الفرد.

3- سوء العلاقة بين الوالدين والأبناء. ترتفع درجة الاتفاق بين الوالدين والأبناء في التوجهات السياسية كلما كانت العلاقة بينهما وثيقة وإيجابية. فقد كشفت إحدى الدراسات بأن الاتفاق بين الوالدين والأبناء يتأثر بحجم ونوع السيطرة التي يفرضها الوالدان على أولادهم، إذ يكون الاتفاق بين الوالدين والأبناء في أعلى درجاته عندما يفرض الوالدان درجة متوسطة من السيطرة على أبنائهما، في حين تكون درجة الاتفاق بينهما منخفضة عندما يفرض الوالدان درجة عالية أو منخفضة من السيطرة عليهم [5]. إذ "تؤثر روابط الحب القوية بين الوالدين والأولاد، والمتطلبات الأخلاقية الثابتة والمتسقة التي يفرضها الوالدان على الأولاد، والاستخدام المتسق للعقوبات والمكافآت، واستخدام الأساليب النفسية للعقاب دون استخدام الأساليب الجسمية، والتركيز الشديد على عمليات الاستدلال والتعليل والتفسير على العلاقة بين الوالدين والأبناء". هكذا وجدت إحدى الدراسات بأن الأطفال ذوي الآباء الصارمين أكثر ميلا للالتزام بالمتطلبات الأخلاقية وأكثر خوفا من مخالفة تلك المتطلبات، وأقل تأثرا

---

[1] Herbert McClosky, "Consensus & Ideology in American Politics", The American Political Science Review, Vol. LVIII, June, 1964, p.757.

[2] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 54.

[3] نايف النوايسة، مصدر سبق ذكره2001، ص 22. وحول أسباب عدم انسجام العلاقة بين الوالدين، راجع الدراسة القيمة التالية: محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 71.

[4] ولمزيد من التفاصيل حول أسباب عدم انسجام العلاقة بين الوالدين واثر ذلك في دور الأسرة في التنشئة، راجع الدراسة القيمة التالية: محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 71-73.

[5] من هذه الدراسات أنظر:

Dave Sears, "Political Socialization", in: Freed I. Greenstein & Nelson Polsby (eds.), op.cit., p.126.

بالأصدقاء والمنظمات الأخرى، وكانوا يخشون عدم تقبل الآباء لها في حالة المخالفة. ويظهر أن تأثير الوالدين من العوائل الأخلاقية التي تتسم بالصرامة في تطبيق القيم الأخلاقية أشد تأثيرا على سلوك الفرد. ووجدت الدراسة نفسها بأن هناك علاقة ودية وقوية بين الطفل ووالديه اللذين يتسمان بمعايير أخلاقية سامية وعالية جدا، في حين تتصف الأسرة المرتبطة بالشخصية الغير أخلاقية، بعلاقة عدم تقبل ورفض بين الطفل ووالديه اللذين يتسمان بمعايير خلقية محطة جدا، ويتصدع العلاقات الزوجية، وكثرة المشاحنات والمنازعات، وبالإهمال واللامبالاة بمصير الأولاد مما يؤدي كل ذلك إلى كره الطفل لوالديه أو احدهما...كما يمكن أن يؤدي إلى أن يتأثر الفرد بهيئات أخرى [1]. يمكن القول مما تقدم، أن الانطباع السلبي الذي يكونه الفرد عن أسرته قد يؤدي إلى ضعف تأثير الأسرة على الفرد وبالتالي فأن سوء العلاقة بين الوالدين والأبناء يؤدي إلى عدم احتكار الأسرة للتنشئة.

4- مشاكل أسرية أخرى: وتقود بعض المشاكل الأسرية الأخرى إلى ضعف تأثير الأسرة على عملية التنشئة الاجتماعية السياسية لأعضائها. ومن أمثلة هذه المشاكل هو التفكك الأسري بسبب انفصال الأم عن الأب أو وفاة أحدهما أو الضعف الثقافي للأسرة أو كثرة الأبناء مع ضعف الدخل وعجز الوالدين عن تلبية حاجاتهم الكاملة. يؤدى كل ذلك إلى إحداث تصدع في العلاقات الأسرية، وينعكس رد الفعل على الأبناء فلا تستقيم تنشئتهم ولا تستوي تربيتهم [2]. ويمكن أن تعيق ظروف السكن غير اللائقة الأسرة عن تادية وظيفتها في تنشئة الأطفال. فعلى سبيل المثال يسمح الوالدين، في الأحياء الشعبية، لأولادهم للخروج واللعب في الحارة من أجل التخلص من مضايقاتهم، مما يجعلهم يلتقون بنظرائهم الذين قد يؤثرون على تنشئتهم بخلاف تنشئة الأهل [3].

5- ازدواجية الوالدين: قد تتعارض أساليب التربية والمطالب التي يفرضها الكبار على الطفل مع تصرفاتهم هم أنفسهم، فيعاني الطفل من جراء ذلك، وتتعرض شخصيته للضرر والانحراف [4].

6- أسباب أخرى: يمكن أن تؤدي أسباب أخرى إلى عدم السماح للأسرة بأن يكون لها السيطرة المطلقة على عملية تنشئة أعضائها. ومن بين هذه الأسباب هو ضعف الانتماء الأسري نتيجة

---

[1] لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع وأسباب مشاعر العدوان الانتقامي وجنوح الأطفال، راجع: محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 77-79. كذلك أنظر: د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 336-337.

[2] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 55-56.

[3] محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 71-75. أيضا راجع: د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 336؛ د. طلعت إبراهيم لطفي، مصدر سبق ذكره، ص 66-69.

[4] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 54.

لانتقال بعض أفراد الأسرة من القرى إلى المدن بحثا عن العمل [1] أو وجود هيئات تنشئة أخرى لها تأثير قوي على سلوك الفرد مثل المدرسة والأصدقاء أو وسائل الإعلام. ويمكن أن يؤدي كذلك الالتحاق أو الاتصال بهيئات أخرى كأن تكون سياسية أو حزبية إلى ضعف دور الأسرة. وكلما زاد اتصال الفرد بهذه الهيئات، من غير الأسرة، قل تأثير سلطة الأب عليه مقارنة بالفرد الذي لم يشارك أو يتصل بمثل هذه الهيئات، هذا ما توصلت إليه أحدى الدراسات الميدانية [2]. ويعزى كذلك ضعف دور الأسرة إلى ما يطلق عليه دورة الحياة التي يمر بها الفرد، أي كلما كبر الفرد ومر بتجارب جديدة اثر ذلك على قيمه وآرائه [3]. كما اثبتت بعض الدراسات الأخرى بأن الفرد يصبح أكثر ميلا للاستقلالية عندما يتقدم في العمر، مما يضعف دور الأسرة في التأثير على تنشئته.

7- عدم تنشئة الفرد على كل الأدوار: يحصل غالبا أن لا تكون الأسرة دائما في وضع يمكنها من تنشئة الفرد على كل الأدوار، لان ليس بإمكانها ان تتوقع كل الأدوار التي سوف يجب على الفرد ان يقوم بها في المستقبل، فعضو البرلمان، على سبيل المثال، يخضع لعملية تنشئة بعد انتخابه، وسلوكه التشريعي يتحدد جزئيا بمعرفته واتجاهاته السابقة على انتخابه وجزئيا بخبرات يكتسبها داخل السلطة التشريعية [4].

يتضح مما تقدم، بأنه رغم أهمية هيئة الأسرة المتميزة في التنشئة الاجتماعية السياسية إلا انها لا تحتكر التأثير المطلق في عملية التنشئة برمتها، لعدم وجود مواقف سياسية للوالدين والرغبة في نقلها لأبنائهم أحيانا، وعدم استقرار وتطابق توجهات الوالدين، وسوء العلاقة بين الوالدين والأبناء، ووجود مشاكل أسرية أخرى تمنع من التأثر بالأسرة في مجال التنشئة، وازدواجية الوالدين، وأسباب أخرى، كوجود هيئات تنشئة أخرى تؤثر فيه اكثر من الأسرة، وعدم تنشئة الأسرة على كل الأدوار الاجتماعية.

ما يمكن أن يُخلص إليه من كل ما تقدم في هذا المطلب، أن الأسرة هي من بين هيئات التنشئة الاجتماعية الأساسية، التي تتميز بمكان إقامة، مشترك للأبوين والأبناء، وتقوم بالتنشئة الحياتية أو الجسمية والنفسية والاجتماعية للفرد، وأن للأبوين دوراً مهماً في عملية

---

[1] Gabriel A. Almond and G. Bingham Powell Jr., Comparative Politics Today: A World View, Glenview, Illinois, Scott, Foresman And Company, 1987.
نقلا عن: د. سعود محمد العتيبي، مصدر سبق ذكره، ص 20، 38.

[2] د. عباس مكي و زهير حطب، مصدر سبق ذكره، 225-227.

[3] M. Kent Jennings and Richard G. Niemi, "The Transmission of Political Values From Parents to Child", American Political Science Review, Vol. (not mentioned), 1968, pp.169-184.
نقلا عن: د. سعود محمد العتيبي، ص 20، 39.

[4] د. عبد الهادي الجوهري، دراسات في علم الاجتماع السياسي، مصدر سبق ذكره، ص 44، كذلك أنظر: د. شمران حمادي، مصدر سبق ذكره، ص 54-55.

التنشئة الاجتماعية السياسية المستمرة للفرد، ويشكلان مرجعاً أساسياً لحل مشاكل الأبناء، ومصدراً للنصيحة، ومصدراً أساسيا للمعرفة والمعلومات، إذا ما قورنت بالأقرباء، والمعلمين، والأصدقاء، والأخوان والأخوات، كهيئات تنشئة اخرى، ولكن بالمقارنة مع الأم، يتم اللجوء إلى الأب أقل من الأم في مجال النصيحة، وعدّ الأم أكثر فضلا من الأب في مجال التربية، ولكن له مكانة متميزة بين أولاده بحكم التراث الاجتماعي السائد والأمن الذي يوفره الأب في معظم الأحيان، وان دور الأم أكثر أهمية من دور الأب في الأسرة، لما توفره من ما يحتاجه الوليد من غذاء وحنان، على الأقل في السنوات الأولى من عمر الإنسان، وما تقدمه من اتصال مباشر ومستمر ونصائح وحلولاً لمشاكل الأبناء وكونها أقل شدة وصرامة من الأب، رغم أن الأخير يشكل نموذجا وقدوة اجتماعية ووسيلة لأبناء وربطهم بالبيئة الاجتماعية المحيطة خارج نطاق الأسرة أكثر من الأم بحكم التقاليد الاجتماعية، ويعزى عدّ الأسرة أهم هيئة تنشئة اجتماعية سياسية أساسية وثانوية إلى كونها تشكل الوحدة الاجتماعية الأولى في الترتيب الزمني التي ينشأ ويتصل فيها الفرد، والتي تعمل على إشباع حاجاته الأساسية، وكون التنشئة فيها أشد كثافة وأطول زمنا، وأكثر استمرارية، والعلاقة فيها أكثر تلقائية وعاطفية وشخصية واتصالية، وأصالة العضوية فيها، واستمرارية تأثيرها في الفرد، وقوة التضامن بين أعضائها، وتأثيرها في السنوات الأولى في تكوين وتشكيل شخصية الطفل، وعدّها الوحدة الأساسية في التركيب البنائي لأي مجتمع من المجتمعات، ووسيلة الاستمرار المادي للمجتمع من خلال تزويده بأعضاء جدد عن طريق التناسل، وتوليها الاستمرار المعنوي لهذا المجتمع عن طريق تلقين قيمه ومعايير سلوكه واتجاهاته وعاداته للأطفال، وكونها أهم المؤسسات التي أقامها الإنسان لاستمرار حياته في الجماعة وتنظيمها بالمقارنة مع باقي هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأخرى، وأن الافتراض بأن الأسرة تُعد أهم هيئة اجتماعية سياسية بالمقارنة مع بقية هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية في بناء الشخصية قد يعود إلى أدوارها المتميزة في التنشئة الاجتماعية السياسية في مجال بناء الشخصية، كما في تكوين مفهوم الذات لديهم والثقة بالنفس وبالآخرين والشعور بالكفاءة في المواقف الاجتماعية ونمو قدرات على تكوين علاقات ناضجة مع الناس أو نقيضها، وإمكانية إكساب الطفل القيم الاجتماعية السياسية الإيجابية أو السلبية، والتنشئة على التكيف والتوافق النفسي والاجتماعي والطاعة الاجتماعية أو العكس، وكسب الأدوار الاجتماعية، ونقل تراث وثقافة المجتمع إلى الجيل الجديد، وإكساب مهارات المشاركة أو نقيضها، وإكساب الولاء للأمة والمجتمع السياسي، والنظام السياسي، أو عدم الولاء لهم، وإكسابهم الولاء لأيدلوجية سياسية معينة، والمعلومات السياسية، وتحديد الهيئات التي يتصل بها الفرد، ولكن بالرغم أهمية هيئة الأسرة المتميزة في التنشئة الاجتماعية السياسية إلا أنها لا تحتكر التأثير المطلق في عملية التنشئة برمتها، لعدم

وجود مواقف سياسية للوالدين أو الرغبة في نقلها لأبنائهم أحيانا، وعدم استقرار وتطابق توجهات الوالدين، وسوء العلاقة بين الوالدين والأبناء، ووجود مشاكل أسرية أخرى تمنع من التأثر بالأسرة في مجال التنشئة، وازدواجية الوالدين، وأسباب أخرى، كوجود هيئات تنشئة أخرى تؤثر فيه أكثر من الأسرة، وعدم تنشئة الأسرة على كل الأدوار الاجتماعية. أن الإقرار بأن الأسرة لا تحتكر التأثير المطلق في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية يدفعنا لدراسة هيئة أخرى في المطلب القادم.

obeikandl.com

المبحث الثاني

هيئة القبيلة:

تُعدّ القبيلة في بعض المجتمعات، وخصوصا المجتمعات العربية والأفريقية، من بين هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأساسية في التأثير في التنشئة الاجتماعية السياسية رغم عدم وجودها التقليدي في الغالب. ونتيجة لأهمية استمرار تأثيرها في التنشئة الاجتماعية السياسية في بعض المجتمعات، وبالتالي استمرار تأثيرها في مجتمعات أخرى عبر التعامل بين المتأثرين بها وممثلي البيئات الإقليمية والأجنبية وهم يتفاعلوا في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وجدنا من الضروري دراستها. ومن أجل محاولة الاحاطة بدراسة هيئة القبيلة، كهيئة تنشئة اجتماعية سياسية ، تطلب الأمر التعريف بها ودراسة تركيبتها وخصائصها. والبحث في دورها في التنشئة الاجتماعية السياسية. ثم البحث في العوامل المؤثرة في ذلك الدور. ولكن قبل الولوج في كل ذلك تطلب الأمر أولا الوقوف على دوافع وأهمية دراسة القبيلة، رغم زوال معظم مظاهرها ومعالمها المادية.

المطلب الأول:

أهمية ودوافع دراسة هيئة القبيلة وتعريفها

أولا- أهمية ودوافع دراسة هيئة القبيلة:

رغم اختفاء معظم الظروف المكانية والزمنية، ومعظم المظاهر الشكلية للقبيلة، إلا أن هناك بعض الأسباب، التي تدعو إلى الاعتقاد بأهمية دراستها، كهيئة تنشئة اجتماعية سياسية، يذكر منها ما يلي:

1- استمرار تأثير القيم والممارسات القبلية في سلوك الفرد: بالرغم من الرأي الذي يذهب إلى اختفاء الحياة البدوية، وخصوصا في المجتمعات العربية، التي ترتبط بها القبيلة كهيئة اجتماعية سياسية، وتقلصها المستمر إلا أن هناك رأي آخر، يرى بأنه بالرغم من صحة الرأي الأول، في أن البداوة تتقلص باستمرار على توالي الأعوام في المجتمعات العربية، كالعراق، الذي أصبحت تشكل فيه القبائل البدوية 2٪ حتى العام 1992، "إلا ان المشكلة ليست في البداوة من حيث وجودها الظاهري بل هي من حيث وجودها في أعماق نفوسنا"، كما يذهب إلى ذلك عالم الاجتماع العراقي (علي الوردي) [1]. ويقول: "ان تأثير البداوة في الوطن العربي لا ينحصر

---

[1] د. علي الوردي، "أنا وحدي ولكن محاط بالناس": حوار مع الدكتور علي الوردي، مصدر سبق ذكره، ص 80. يبلغ سكان الوطن العربي اليوم (يُعتقد أن الطبعة الأولى للكتاب صدرت في العام 1981) حوالي ثمانين مليونا (نعتقد اليوم أنه حوالي أكثر من ثلاثمائة مليون) وتقدر نسبة القبائل البدوية فيهم بما يقارب ربعهم. وتختلف النسبة باختلاف الأقطار العربية، فتشكل القبائل البدوية في المملكة العربية السعودية 75% من السكان، وفي العراق 2%، وفي سوريا 1,5%، وفي مصر تشكل النسبة حوالي 0.5% من السكان. حول هذه

في هذه القبائل وحدها، بل هو يشمل سكان الأرياف أيضا ولو بدرجة أضعف. وقد يشمل التأثير سكان المدن على وجه من الوجوه"؛ ويرى: "سنجد هذا واضحا في العراق..فهناك يكاد أهل الريف يبلغون نصف السكان، وهم يعيشون في وضع اجتماعي يشبه وضع البداوة من وجوه كثيرة. أما باقي السكان، وهم أهل المدن، فقد تأثروا بالقيم البدوية من جراء احتكاكهم بالقبائل الريفية والبدوية المحيطة بهم، على توالي الأجيال. وقد يصح القول ان الكثيرين منهم هم متحضرون في الظاهربولكنهم بدويون في الباطن. وهذا هو الذي جعل بعض معالم الشخصية المزدوجة واسعة الانتشار بينهم..." [1]؛ ويرى أيضا "ان الكثيرين منا هم متحضّرون في ظاهرهم بينما في باطنهم ما يزالون بدوا أو شبه بدو. فهم قد تحضروا في مساكنهم وملابسهم ومهنهم وبعض مظاهر حياتهم الأخرى ولكنهم في القيم الاجتماعية التي تسيطر على تفكيرهم وسلوكهم الواقعي لا يختلفون كثيرا عن البدو" [2].

يتضح مما تقدم، أن ما يهم من دراسة القبيلة هنا ليس وجودها العيني أو المادي الذي يعتقد أنه اندثر من الناحية المكانية والمادية إلى حد ما كما يذهب إلى ذلك الرأي الأول، بل تحاول هذه الدراسة تتبع ومعرفة آثار القيم الاجتماعية البدوية التي لا زالت تعيش في النفوس، أو بالأحرى لا زالت تؤثر على تنشئة الفرد وسلوكه كما يذهب إلى ذلك الرأي الثاني.

2- استناد سلطة الدولة على الولاء القبلي: ومن بين الأسباب التي تدعو إلى الاهتمام بدراسة القبيلة، كهيئة تنشئة اجتماعية سياسية، وخصوصا، في المجتمعات العربية، هو أن المجتمعات في شبة الجزيرة العربية كانت قائمة على نظام القبيلة [3]. وفي الوقت الحاضر، فأن سلطة الدولة في الجزيرة العربية مستمدة تقليديا من الولاء القبلي. وتعتبر السعودية، على سبيل المثال، من أمثلة هذه الدول، حيث استطاعت عائلة آل سعود من فرض سيطرتها على باقي القبائل، وجندت القبائل في الجيش والحرس الوطني، واحتلت دور القبائل في الحماية والدفاع عن الدولة الحديثة [4].

3- ضعف تأثير الحراك الاجتماعي* على تغير القيم القبلية: بالرغم من تعرض القبيلة إلى تغيرات في نواحي السكن والعمل والتعليم والدخل إلا أن تأثيرها أستمر. ويظهر أن السبب في ذلك هو أنه:

الإحصائيات راجع: د. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سبق ذكره، ص 80-81.

[1] المصدر السابق.

[2] د. علي الوردي، "أنا وحدي ولكن محاط بالناس"، مصدر سبق ذكره، ص 80.

[3] د. احمد جمال ظاهر، التنشئة الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، مصدر سبق ذكره، ص 42.

[4] د. حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1985، ص 46. نقلا: محمد عدنان محمود الخفاجي، مصدر سبق ذكره، ص 136.

* الحراك: هو عملية تغير تحدث إلى عدد كبير من السكان في الأقطار التي تتطور نظمها التقليد إلى نظم أكثر

"بالرغم من الواقع الاقتصادي الاجتماعي الذي أفرز آليات تعمل على تفتيت الولاءات العائلية، إلا أن الواقع السياسي الاجتماعي أفرز آليات تحافظ عليه. ومع انقضاء المرحلة التي راهنت فيه السلطة، في العديد من الدول العربية، على زعامات العائلات الكبيرة للوساطة بين السلطة وأعضاء العائلة، مساهمة بذلك في تكريس البنى التقليدية، ومع انقضاء مرحلة المخاتير واختامهم المعترف بها من قبل السلطة، أدت انتخابات المجالس المحلية الحديثة شكلاً، إلى نشوء آليات جديدة تحافظ على البنى العائلية والولاءات لها" [1].

فعلى صعيد الأردن، على سبيل المثال، وجدت إحدى الدراسات بأن حتى في المجتمع المستقر من اصل بدوي كالأردن لازالت التقاليد القبلية أقوى منها في أي مكان آخر في هذه المنطقة من المجتمعات العربية [2].

4- استمرار تأثير هيئة القبيلة على باقي هيئات التنشئة: وتكمن أهمية دراسة القبيلة في التأثير الذي تتركه الثقافة البدوية على هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأخرى، كالأسرة، في المجتمعات العربية، حتى بعد الانتقال من حياة البداوة إلى حياة الريف والمدينة، كما سيتضح لنا أكثر، ونحن نتابع أثر القيم الاجتماعية على التنشئة الاجتماعية السياسية في الفصل الرابع من هذه الدراسة. ويتضح هذا التأثير خصوصا في المجتمعات التي لم تعرف الاستقرار السياسي، ومرت بحروب كثيرة، ولم تنفتح على معالم الحضارة، كالمجتمع العراقي. يمكن القول بعبارة أخرى، أن بعض هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية في الدولة الحديثة، وخصوصا الأسرة، ورثت نمط التنشئة الاجتماعية نفسه الذي كانت تمارسه الأسرة في النظام البدوي. مما أدى إلى استمرار تأثير القيم البدوية في تنشئة الفرد.

يتضح مما تقدم أن استمرار تأثير القيم والممارسات الاجتماعية القبلية على سلوك الفرد، واستناد سلطة الدولة، على الأقل جزئيا على الولاء القبلي، وضعف تأثير الحراك الاجتماعي في تغير القيم القبلية، واستمرار تأثير القبيلة على باقي هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأولية والثانوية هي التي خلقت أهمية ودافع لدراسة هيئة القبيلة. وبعد أن عرفنا الاعتبارات التي دفعت الباحث إلى دراسة القبيلة، كأحد هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية، في بعض المجتمعات، كالمجتمعات العربية ننتقل لمتابعة تعريف القبيلة

حداثة في نواحي عديدة كالسكن والعمل والمؤسسات والأدوار وطرق العمل والتجارب والتوقعات والذكريات الشخصية، كما يحدث في التعليم والدخل. حول ذلك راجع:

Leonard Binder et al, Crises & Sequences in Political Development, Princeton, Princeton University
Press, 1971, p.166.

[1] د. عزمي بشارة، الخطاب السياسي المبتور ودراسات أخرى، رام الله: المؤسسة الفلسطينية، لدراسة الديمقراطية، 2002، ص 172. ولمزيد من التفاصيل أنظر المصدر نفسه ص 172- 173.

[2] د. لويس كامل مليكه، الشخصية البدوية، في : لويس كامل مليكه (أعداد)، مصدر سبق ذكره ، ص 570..

ثانيا- تعريف هيئة القبيلة:

تعرف هيئة القبيلة على أنها وحدة اجتماعية تجمع عدة عشائر أو مجتمعات محلية وتتميز بوحدة المكان واللغة والثقافة، ويرأسها رئيس القبيلة ومجلس القبيلة [1]. كما تعرف القبيلة على أنها الدائرة الاشمل أو الإطار العام الذي ينتمي إليه جميع الذين ينتسبون إلى جد أو أصل واحد في الزمن الماضي البعيد، وتكون وحدة اجتماعية واقتصادية وسياسية من حيث شبه اكتفائها الذاتي وصلتها بالقبائل الأخرى والمجتمع والعالم [2]. وتعرف أيضا القبيلة على أنها مجموعة من العشائر. والعشيرة هي مرحلة متقدمة عن الأسرة. والذي يربط الأسرة بالعشيرة هو أن الأخيرة عبارة عن اتحاد مجموعة من الأسر التي تقوم على أساس القرابة ووحدة الدم والعصبية* . كما تفهم العشيرة على أنها جماعة تتميز بقيامها على أساس قرابي واحد من جانب الأب أو من جانب الأم، ويتوافر لأفرادها وحدة مكانية بحيث تتفق القاعدة السكنية مع قاعدة التسلسل القرابي، ويربط بين أفرادها تماسك اجتماعي قوي... وتعتبر العشيرة والقبيلة من ابرز أشكال المجتمع المحلي، ويعتقد أن القبيلة هي الوحدة الاجتماعية الثانية التي يتعرف عليها الطفل بعد الأسرة، وتعتبر القبيلة اكبر جماعة من الأشخاص الذين يعشون معا، ويقوم تعاملهم على أساس الاتصال الشخصي وجها لوجه [3]. ويعتبر التجمع البدوي أقدم أنواع التجمع الاجتماعي كما يرى ذلك ابن الأزرق بالاستناد إلى ابن خلدون [4].

ما يمكن أن يُخلص إليه مما تقدم، أن القبيلة هيئة تنشئة اجتماعية سياسية ثانوية مهمة.

---

[1] المصدر السابق، ص 570.

[2] د. حليم بركات، مصدر سبق ذكره، ص 69.

* حول تعريف القبيلة راجع: محمد عدنان محمود الخفاجي، مصدر سبق ذكره، ص 136. العصبة هي المصلحة المشتركة الدائمة للجماعة. وهي قوة لمواجهة أي يخطر يهدد العصبة أو الجماعة في البدو في مصلحتها المشتركة، وخصوصا المصلحة المرتبطة دوما بأمور العيش. وعادة ما تستند العصبية على رابطة النسب. أو صلة الدم. كما تعرف على أنها رابطة اجتماعية- نفسية، شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة، ربطا مستمرا يبرز ويشتد ندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد. كما تعني العصبة الجماعة. والقرابة والملازمة في العلاقة القرابية شرطان ضروريان لوجود العصبة. ويستخدم أحيانا ابن خلدون العصبة لدلالة على الرابطة القبلية وتارة أخرى يعني بها الجماعة البدوية. وهناك عصبية قائمة على أساس النسب (عصبية خاصة) وتعني الانتماء إلى جد مشترك. وهناك عصبية عامة، أي الارتباط بالولاء والحلف والألفة وطول المعاشرة، وما ينتج من ذلك من تشبع بعاداتها وتقاليدها، وبالروح الجمعية السائدة فيها، ومن ارتباط مصلحته بمصلحتها ووجوده بوجودها. للمزيد من التفاصيل حول ذلك، راجع: د. محمد عابد الجابري، مصدر سبق ذكره، ص 166- 173. كما تعرف العصبية على أنها تعني "كل أشكال الانشداد والاندماج الاجتماعي بين أبناء المجتمع الواحد. كما تعني أنها رابطة اجتماعية وروحية. وتعرف أيضا على أنها... التجمع الحسي والمعنوي معا...وشعور الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من العصبة التي ينتمي إليها، والاستعداد الدائم من أجل التضحية في سبيلها عند وجود خطر خارجي.... حول ذلك راجع: عز الدين دياب، مصدر سبق ذكره، ص 170، 168.

[3] محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 85.

[4] د. محمد على محمد، أصول الاجتماع السياسي: السياسة والمجتمع في العالم الثالث: مصدر سبق ذكره، ص 129.

أقرب إلى الفرد وهيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأولية من حيث قوة العلاقات الشخصية والمباشرة والارتباط الدموي.

المطلب الثاني:

تركيبة هيئة القبيلة وخصائص المجتمع القبلي

أولا- تركيبة القبيلة [1]:

يمكن تصنيف التركيبة الاجتماعية البدوية إلى ثلاث دوائر رئيسية هي:

1- البيت أو العائلة الصغيرة: وهي التي تسكن خيمة أو منزلا واحدا، وتشمل عادة الأب والأم (أو الأمهات أحيانا) والأبناء وزوجاتهم، والبنات غير المتزوجات والأحفاد والحفيدات، وتشكل محور النشاط المعيشي اليومي. ولكل بيت أو عائلة قطيعها الخاص.

2- الفخذ: يؤلف الفخذ (أو الحمولة) دائرة ثانية إذ يتشكل عادة من عدة بيوتات تنتسب إلى جد واحد، يعود إلى حوالي خمسة أجيال سابقة.

3- العشيرة أو القبيلة: وتضم الدائرتين دائرة ثالثة هي دائرة القبيلة أو العشيرة التي تتألف من عدد من الأفخاذ (عادة بين أربعة إلى ستة أفخاذ) [2].

4- شيخ القبيلة: سيد القوم هو الشيخ، ومجلس القبيلة مؤلف من شيوخ العشائر والأفخاذ والأسر.

وبصدد تركيبة القبيلة قيل: "ينتظم البدو في عشائر أو قبائل وأفخاذ وحمولات وبيوتات. تجمعهم عصبية لأصولهم الدموية إلى درجة تغلب عندها روحية الجماعة على الفردية، والمساواة في الحقوق وعدم وجود التفرقة والتمايز" [3].

ما يُخلص إليه من ما تقدم، أن القبيلة تتألف من البيت أو العائلة الصغيرة، والفخذ، والعشيرة أو القبيلة وشيخ القبيلة.

ثانيا- خصائص المجتمع القبلي:

يتميز المجتمع القبلي ببعض الصفات، يذكر منها ما يلي:

1- ارتباط البداوة بالصحراء: توجد علاقة مباشرة بين التنظيم الاجتماعي البدوي والبيئة الصحراوية وضرورات الارتحال والرعي والدفاع عن الذات وتدبير المعيشة [4]. ويشتهر البدو

---

[1] د. حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص 69.

[2] المصدر نفسه، ص 68- 69. ولمزيد من التفاصيل حول تركيبة القبيلة، راجع: ميادة أحمد عبد الرحمن الجدة، مصدر سبق ذكره, ص11.

[3] االمصدر نفسه، وحول سيطرة الحياة الجماعية راجع: محمد عدنان محمود الخفاجي، مصدر سبق ذكره، ص 136.

[4] د. حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص 68. أنظر أيضا: د. علي الوردي، دراسة

obeikandl.com

بالاتجار بالحيوان الذي هو عصب الحياة البدوية [1]. ولكن قد امتد تأثير القبيلة في سلوك الأفراد حتى بعد الانتقال إلى المدن.

2- الاتصال المباشر والتلقائي: وهناك اتصال شخصي وجها لوجه [2]. ويمثل المجتمع العشائري نظاما تلقائيا ذاتيا... [3] ويعيش أهل البادية أسرا وجماعات متباعدة يقل الاحتكاك بينها [4].

3- رابطة العصبية: تطلبت مواجهة الصحراء بكل قسوتها واتساعها وندرة مواردها وطلب الماء والمراعي، وحماية الذات من الأخطار الفادحة، وتأمين المعيشة تطلبت قيام عصبية قبلية تقوم في أساسها على علاقة القربى الدموية ونشوء وحدات قتالية شديدة البأس والفروسية والشجاعة. أي أن القبيلة القائمة على العصبية والفروسية للدفاع عنها وتأمين معيشتها، هي التنظيم الأنسب في مثل هذه البيئة الصحراوية [5]. وتقوم العصبية على أساس رابطة النسب (الانتساب إلى جد مشترك) والولاء والحلف. ويعتقد أن لا قيمة للنسب دون ارتباطه برابطة المصلحة أو الجيرة [6]. وتكون النعرة أو التناصر بين الأفراد الذين يجمعهم نسب قريب أقوى من النعرة والتناصر بين أولئك الذين يجمعهم نسب بعيد كالولاء والحلف. أي النسب هو عامل جمع وتوحيد بين أفراد القبيلة الواحدة التي يجمعها جد واحد. والعصبية خاصة بالمجتمع البدوي [7]. ويفقد الفرد لشخصيته وفرديته ويتقمص شخصية العصبة، وخصوصا في حالة الخطر الخارجي الذي يهدد القبيلة أو العصبة [8]. فضلا عن أن العصبة تتقمص الفرد عندما يصاب بأذى أو يلحقه مكروه. أن التضامن المتبادل بين العصبة الفرد ينتج عنه تواصل الشخص مع غيره محدود بحدود عصبته. فكل ما عداها، يعتبر غريبا يجب الحذر منه [9]. ولكن يرى (محمد عابد الجابري)، أن أساس العلاقات القبلية يستند على الاتحاد من أجل تنازع البقاء والكفاح من أجل العيش في إطار وحدة العصبة وتضامن أفرادها أكثر من استنادها على النسب. ويبرر رأيه ذلك بالاستناد إلى التحليل الخلدوني، فيقول أن فساد العصبية بالانفراد بالمجد، أي باستئثار رئيس العصبة بالملك وما يتبعه من مصالح مادية، ومنعه لأفراد عصبته من التطاول للمساهمة والمشاركة، لا يعني فساد النسب، وإنما فساد الأساس الحقيقي الذي

في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سبق ذكره، ص 17.

[1] د. لويس كامل مليكه، مصدر سبق ذكره، ص 570- 571.

[2] محمد عبد الحميد زيدان، مصدر سبق ذكره، ص 85.

[3] محمد عدنان محمود الخفاجي، مصدر سبق ذكره، ص 136.

[4] د. محمد عابد الجابري، مصدر سبق ذكره، ص 174.

[5] د. حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر, مصدر سبق ذكره، ص 68. وحول اشتراك القبيلة برابطة الدم، راجع: محمد عدنان محمود الخفاجي، مصدر سبق ذكره، ص 136.

[6] د. جهاد تقي صادق، مصدر سبق ذكره، ص 129.

[7] د. محمد عابد الجابري، مصدر سبق ذكره، ص 173.

[8] د. حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر, مصدر سبق ذكره، ص 69. أنظر كذلك: ميادة أحمد عبد الرحمن الجدة، مصدر سبق ذكره, ص 11.

[9] د. محمد عابد الجابري، مصدر سبق ذكره، ص 169.

قامت عليه العصبية وهو المساهمة والمشاركة في الفوائد المادية والمعنوية التي يحققها الملك لأصحابه [1].

يُفهم مما تقدم، ارتباط القبيلة جغرافيا بالصحراء، والاتصال المباشر والتلقائي بين أعضائها، وارتباط أعضاء القبيلة برابطة العصبية، القائمة على أساس القربى الدموية والنسب والجيرة والمصلحة المشتركة من أجل المعيشة والصراع من أجل البقاء في ظل مواجهة الصحراء بكل قسوتها واتساعها وندرة مواردها وطلب الماء والمراعي، وحماية الذات من الأخطار الفادحة، والتقاليد القبلية، مثل الافتخار بالنسب، ونصرة القريبين، واحترام أو طاعة الأهل والكبار في العمر، والثأر لمن اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل، والحشمة والشرف، والتعاضد والتكافل في الأفراح والأتراح وفي الطقوس الاجتماعية المختلفة والضيافة، والقسوة في الانتقام.

المطلب الثالث:

دور القبيلة في التنشئة الاجتماعية السياسية والعوامل المؤثرة فيها

أولا- دور القبيلة في التنشئة الاجتماعية السياسية:

1- إكساب الولاء للمجتمع السياسي أو عدم الولاء له. يعرف الولاء على انه التزام الفرد جانب حليفة او رئيسه أو جماعته في الملمات، فلا يفارقهم أو يتقاعس عن نصرتهم. وهو نوع من الوفاء وقد يسمى ب "الإخلاص" أحيان [2]. يعتبر التنشئة على الدفاع عن أملاك وأفراد القبيلة أحد أوجه الولاء لها، وقد يمتد هذا الولاء للقبيلة بالنتيجة إلى الولاء للدولة في مرحلة لاحقة. أي قد يستمر دور الفخذ أو القبيلة كمحور للنشاط الدفاعي حتى بعد قيام الدولة في الحضر. فقد استمر الفخذ، حتى بعد انتهاء الحروب القبلية في الجزيرة العربية التي انتهت بقيام الدولة السعودية الحديثة، في أن يشكل وحدة عسكرية مهمة في الحرس الوطني السعودي. وتقع ملكية الآبار عادة في الأفخاذ، ويحل معظم بيوتات الفخذ المنطقة ذاتها في كل فصل [3]. إذ: "إن العصبية في العمران البدوي تقوم بنفس الدور الذي تقوم به الأسوار والجند في العمران الحضري. أي أنها قوة للمواجهة" [4]. ولكن يمكن أن تساهم القبيلة في التنشئة على عدم الولاء للمجتمع السياسي في بعض الأحيان. ويعود السبب في ذلك إلى تنشئة الفرد في القبيلة على أنه ابن قبيلته قبل أن يكون ابن وطنه. ويقود مثل هذا النوع من التنشئة إلى تنشئة تشجع على

---

[1] المصدر السابق، ص 177.
[2] المصدر السابق، ص 94.
[3] د. حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مصدر سبق ذكره، ص 69، 74.
[4] محمد عابد الجابري، مصدر سبق ذكره، ص 173.

أضعاف الولاء للوطن أو الدولة الحديثة [1]. إذ: "تبلور الانتماءات القبلية...إلى تيارات وقيم تكرس الانعزال والتقوقع داخل القبلية..عن باقي أجزاء الجسم الوطني...". أي أن القبيلة..تنشأ الفرد على أنها تختلف عن غيرها من القبائل ..وبذلك يتركز في وعي الفرد بأن القبيلة كيان مستقل ومتميز، مما يؤدي إلى غرس قيم المصالح الضيقة والشخصية والولاء التعصبي لها [2]. وهذا ما يتعارض مع الولاء للمجتمع السياسي (الدولة). وسيتم مناقشة هذا الموضوع بشيء من التفصيل ونحن ندرس أثر الثقافة في التنشئة الاجتماعية السياسية في الفصل الثالث.

2- إكساب بعض الخبرات والقيم الاجتماعية ذات الأبعاد السياسية: يحدث أن تقوم القبيلة بتنشئة الأفراد على بعض الخبرات كالمشاركة في النقاش واتخاذ القرارات الحاسمة. إذ تكون للفخذ مجالسه وتكون القرارات فيها بالإجماع، ويتم انتخاب قائدا في زمن الحرب [3]. كذلك تقوم القبيلة بالتنشئة على بعض القيم، كقيم الثأر والغزو والحرب والمساواة أو عدمها، والفردية، والطاعة أو نقيضها، وعدم الثقة، التي لها أبعادا سياسية، كما سنرى، ونحن نتابع أثر القيم الاجتماعية في التنشئة الاجتماعية السياسية في الفصل الثالث.

3- إكساب الارتباطات والانتماءات الحزبية: يصبح أحيانا الانتماء للأحزاب خيار العائلة بمجملها، وقد يرث الابن هذا الانتماء الحزبي عن الأب ويتعصب له ويدافع عنه كما يدافع الآخرون عن العائلة..ويحدث أن تضغط القبيلة على الفرد من أجل الانضمام إلى الأحزاب لمعارضة قبائل أخرى ممثلة في أحزاب منافسة مما يقود إلى العنف والعنف المضاد والخصومات المستمرة التي تتخذ من انتخابات المجلس المحلي، على سبيل المثال، موسما دوريا لاختبار العضلات [4].

4- إكساب المشاعر الإيجابية أو السلبية تجاه السلطات السياسية: وجدت دراسة في سوريا بأن الصراع السياسي يترافق مع الصراع العشائري. ويحدث أن تعتقل الشرطة أفراد العشيرة ... بكاملها، لأن شيخ العائلة او العشيرة عارض الدولة أو سفه تشريعاتها. وفي نطاق تعميم هذه النتائج على عدة أصقاع من المجتمعات العربية، مدعومة بالعديد من الدراسات والأبحاث التي تمت في المشرق والمغرب، يمكن القول أن العديد من أشكال الانتماء السياسي وخصائصه وولاءاته المتعددة والمتنوعة التي جسدتها لنا الدراسة تنسحب مع قليل من التحفظات الشكلية، على عدة بيئات وقطاعات عربية [5]. وفي المجتمع العراقي، على سبيل المثال، طرد الرئيس العراقي

---

[1] عز الدين دياب، مصدر سبق ذكره، ص 113.
[2] د. رياض عزيز هادي، مصدر سبق ذكره، ص 442.
[3] د. حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر, مصدر سبق ذكره، ص 69.
[4] عزمي بشارة، الخطاب السياسي المبتور ودراسات أخرى, مصدر سبق ذكره، ص 169- 170، 174.
[5] عز الدين دياب، مصدر سبق ذكره، ص 156.

السابق صدام حسين، كل أفراد عشيرة الجبور من الدوائر المهمة في الدولة على أثر محاولة انقلاب قام ضباط من عشيرة الجبور بعد العام 1991.

5- تحديد هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية التي يتصل بها الفرد: يحصل أحيانا وبحكم التقاليد البدوية أن لا يلتقي أو يتزوج أو يختلط الفرد مع جماعة أو قبيلة أخرى. كما أن طبيعة بعض القيم والتقاليد البدوية تحد من حركة واتصال وتصرفات الفرد. فقد ترفض، على سبيل المثال، القبيلة على أفرادها الانخراط في الجندية وقبول تنشئة المؤسسة العسكرية أو العكس.

6- التأثير في هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأخرى: يظهر أيضا دور القبيلة في التنشئة بقدر تأثر هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأخرى، وخصوصا الأسرة، بقيم القبيلة وممارستها ذات الأبعاد السياسية، حتى بعد اختفاء أو تقلص وجود القبيلة من الناحية المكانية. أي أن الأسرة، على سبيل المثال، وبحكم كونها امتداد أو نتاج الحياة القبلية، في المجتمعات العربية، ستستمر بالتنشئة على بعض أنماط وقيم وتقاليد التنشئة في القبيلة. ولعل استمرار تطبيق القيم البدوية كالثأر في الريف والمدن العراقية في الوقت الحاضر دليل على ذلك. لا بل أخذت عادة الثأر تلبس لباسا دينيا طائفيا في العراق بعد العام 2003، على أثر سقوط نظام حكم صدام حسين. إذ تطور الأمر إلى قيام أفراد من كلا الطائفتين الشيعية والسنية بقتل كل إنسان يكتشفوا أنهم من غير طائفتهم (القتل على أساس الهوية) ثأرا لمقتل احد او بعض من أبناء طائفتهم على يد الطائفة الأخرى [1]. فقد كان العراقيين من أبناء السنة يعتقدون أن قتل بعض أبناءهم على يد القوات الأمريكية او العراقية أنما سببه معظم الطائفة الشيعية التي قبلت بالاحتلال وانظم معظم أبناءها إلى القوات المسلحة العراقية والتي تنفذ المهمات ضمن مناطقهم. بالمقابل يتهم الشيعة أبناء الطائفة السنية أو بعض منها بالتعاون مع ما يسمون بالأرهابين الذين يكفرون ويفجرون المراكز الدينية الشيعية وقتل أبناءهم الذي يعملون في الحرس الوطني والشرطة. مما قاد ذلك إلى الانتقام الذي شمل كل أبناء الطائفتين بذنب وبدون ذنب تحت تأثير التفكير القبلي القائم على قتل أي فرد من القبيلة العدو حتى وأن لم يكن له أية يد في قتل أفراد القبيلة الأخرى.

يتضح مما تقدم، أن للقبيلة دورا مهما في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية يتمثل بعضها في التنشئة على الولاء للمجتمع السياسي أو عكسه. وإكساب بعض القيم والخبرات الاجتماعية، والولاءات الحزبية والأيدلوجية، والطاعة للسلطات أو عدمه، وتحديد الهيئات الأخرى التي يتصل بها الفرد، واستمرار تأثيرها على باقي هيئات التنشئة الاجتماعية

[1] معايشة ميدانية للواقع العراقي، بغداد، كانون الثاني- آذار، 2006 وحتى ساعة كتابة هذا الكتاب.

السياسية الأخرى.

ثانيا- العوامل المؤثرة في دور القبيلة في التنشئة الاجتماعية:

يعتقد أن هناك بعض العوامل التي تحد من تأثير القبيلة في التنشئة الاجتماعية السياسية. ولعل من بين هذه العوامل يذكر:

1- الحراك الاجتماعي: يمكن القول أنه كلما تعرضت القبيلة إلى تغيرات في نواحي السكن والعمل والتعليم والدخل ضعف تأثيره في التنشئة الاجتماعية السياسية. فكلما انتقلت القبيلة من البادية إلى الريف، ومن الأخير إلى المدينة... [1] أو انتقلت مظاهر الحضارة إلى البادية اثر ذلك في دور القبيلة في التنشئة. ويحدث ذلك التأثير بسبب ظهور هيئات تنشئة جديدة كالمدرسة ووسائل الاتصال الجماهيري كالمذياع تنافس القبيلة. وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "(ويكون التغير) اما بهجرة البادية إلى مكان قد سبقت إليه الحضارة، وأما ان ينقلب جانب من تلك البادية حضرا يجلب عوائد الترف إليه" [2]. ويقول (علي الوردي): "وقد أصبحت الحضارة الحديثة قادرة على التغلغل في أعماق الصحراء، حيث أخذت تُغري البدو على احتراف المهن الحضرية شيئا فشيئا" [3]. ويُعدّ فقدان الأرض الزراعية، وتحول المعيلين إلى أجيرين ومستقلين من مؤشرات هذا النوع من الحراك. إذ: "ومع أن الناس ينسبون العائلية عادة إلى الحمائل الكبيرة، إلا أن الواقع مناقض تماما لهذا الاعتقاد المنتشر. فالحمائل الكبرى بطبيعة الحال أول من يتعرض للتفكك نتيجة للتحديث لأنها أيضا الأكثر عرضة للتنوع والامتداد الجغرافي والفجوات الاقتصادية والثقافية". ويعتبر انتشار المستوى الثقافي التعليمي وتنوع المهن بين أوساط البدو مؤثرات جديدة منافسة للقبيلة في تنشئة الفرد [4]. كما أدت القيود الكثيرة في التبادل التجاري الحديث... كما في المجتمع الأردني على سبيل المثال، إلى تناقص كبير في الاتجار بالحيوان، وهو عصب الاقتصاد البدوي، وأدى اكتشاف البترول، وانتشار وسائل المواصلات الحديثة، وزيادة اختلاط البدوي بالمدينة، وتعرضه لوسائل الاتصال كالإذاعة...، إلى أضعاف سلطان القبائل، وسلطان القانون القبلي [5]. وعلى صعيد فلسطين، على سبيل المثال، زالت تدريجيا المقومات الاقتصادية الاجتماعية (للقبيلة) مع اندثار الاقتصاد الزراعي، وتحولت العائلات الصغيرة إلى مرجعية الفرد كأجير يذهب إلى العمل في سوق العمل الإسرائيلي لإعالة أسرته. إذ: "وزاد تنوع العلاقات الاجتماعية، وتوسع افقها الجغرافي قرابة

---

[1] د. لويس كامل مليكه، مصدر سبق ذكره، ص 552.
[2] د. جهاد تقي صادق، مصدر سبق ذكره، ص 130.
[3] د. على الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سبق ذكره، ص 79- 80.
[4] د. عزمي بشارة، الخطاب السياسي المبتور ودراسات أخرى، مصدر سبق ذكره، ص 170- 171.
[5] د. لويس كامل مليكه، مصدر سبق ذكره، ص 570- 571.

وصداقة ونسبا، من تفكك العائلة الممتدة (القبيلة) أو الحمولة على مستوى القرية الواحدة [1]. وكلما تقدمت التكنولوجيا كلما ساعد ذلك الدولة المركزية على السيطرة على القبائل [2]. ويعتبر سيطرة الدولة على القبائل دخولها كهيئة أضافية في التنشئة.

2- الدولة الحديثة: كلما أصبحت الدولة أكثر قوة ضعف تأثير القبيلة في التنشئة [3] لقد أدى...سيطرة الحكومة المركزية واحتكارها للأسلحة الحديثة، كما في الأردن، على سبيل المائل، إلى أضعاف سلطان القبائل، وسلطان القانون القبلي [4]. وفي العراق، أخذت القبائل تساعد الحكومة المركزية في جباية الضرائب، بعد اشتداد سيطرة الحكومة في الريف العراقي [5]. ومن الطبيعي أن سيطرة الحكومة على القبائل يعني نشر المدارس ووسائل الأعلام ودوائر الدولة الأخرى. وتعتبر الأخيرة من وسائل الدولة في التنشئة الاجتماعية السياسية. ويؤدي كل هذا الانتشار لمظاهر الدولة وأدواتها إلى أضعاف دور القبيلة في التنشئة. وكلما كانت الدولة أكثر استجابة لحاجات المواطنين قل تأثير القيم البدوية. وكلما تؤدي الدولة وظيفتها على الوجه الأكمل تمسك الفرد بها وقل ارتباطه بالقبيلة. لقد ضعف دور القبيلة في العراق في السبعينات والثمانيات بسبب قدرة الدولة على توفير الخدمات العامة والأمن والحماية للموطنين. في حين عادة القبيلة إلى الظهور في التسعينات وما بعدها بسبب ضعف النظام السياسي. لا بل لجأ النظام السياسي نفسه أثناء حكم صدام حسين إلى دعم العشائر في مساعدة الدولة في توفير الاستقرار في البلد. وقد التقى رئيس الجمهورية العراقية آنذاك، صدام حسين، بشيوخ العشائر من أجل ذلك. فضلا عن ما تقدم دعمت الحكومة العراقية برئاسة نوري المالكي العشائر في مناطق مختلفة من العراق في مقاتلة "الإرهاب" [6]. وكلما اقتربت الدولة من حل مشاكل التوزيع والمشاركة ضعف تأثير القبلية.

3- وجود هيئات تنشئة أخرى: كلما تعرض الفرد لهيئات تنشئة أخرى قل تأثير القبيلة عليه. فتعرض الفرد إلى تنشئة دينية من الهيئة الدينية قد يضعف من تأثير التنشئة القبلية عليه. ذلك لأن التنشئة الدينية أقرب إلى تنشئة الدولة الحديثة منها إلى القبيلة. فالإسلام على سبيل المثال لا يميز بين الناس على أساس القبيلة وساهم في أحلال العصبية الإسلامية

---

[1] د. عزمي بشارة، الخطاب السياسي المبتور ودراسات أخرى، مصدر سبق ذكره، ص 170-171.
[2] د. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سبق ذكره، ص 79.
[3] د. علي الوردي، "أنا وحدي ولكن محاط بالناس"، مصدر سبق ذكره، ص 81.
[4] د. لويس كامل مليكه، مصدر سبق ذكره، ص 570- 571.
[5] لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: د. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سبق ذكره، ص 199- 200.
[6] ملاحظة ميدانية للواقع العراقي, 1991- 1999, 2007.

وصداقة ونسبا، من تفكك العائلة الممتدة (القبيلة) أو الحمولة على مستوى القرية الواحدة [1]. وكلما تقدمت التكنولوجيا كلما ساعد ذلك الدولة المركزية على السيطرة على القبائل [2]. ويعتبر سيطرة الدولة على القبائل دخولها كهيئة أضافية في التنشئة.

2- الدولة الحديثة: كلما أصبحت الدولة أكثر قوة ضعف تأثير القبيلة في التنشئة [3] لقد أدى...سيطرة الحكومة المركزية واحتكارها للأسلحة الحديثة، كما في الأردن، على سبيل الماثل، إلى أضعاف سلطان القبائل، وسلطان القانون القبلي [4]. وفي العراق، أخذت القبائل تساعد الحكومة المركزية في جباية الضرائب، بعد اشتداد سيطرة الحكومة في الريف العراقي [5]. ومن الطبيعي أن سيطرة الحكومة على القبائل يعني نشر المدارس ووسائل الأعلام ودوائر الدولة الأخرى. وتعتبر الأخيرة من وسائل الدولة في التنشئة الاجتماعية السياسية. ويؤدي كل هذا الانتشار لمظاهر الدولة وأدواتها إلى أضعاف دور القبيلة في التنشئة. وكلما كانت الدولة أكثر استجابة لحاجات المواطنين قل تأثير القيم البدوية. وكلما تؤدي الدولة وظيفتها على الوجه الأكمل تمسك الفرد بها وقل ارتباطه بالقبيلة. لقد ضعف دور القبيلة في العراق في السبعينات والثمانيات بسبب قدرة الدولة على توفير الخدمات العامة والأمن والحماية للموطنين. في حين عادة القبيلة إلى الظهور في التسعينات وما بعدها بسبب ضعف النظام السياسي. لا بل لجأ النظام السياسي نفسه أثناء حكم صدام حسين إلى دعم العشائر في مساعدة الدولة في توفير الاستقرار في البلد. وقد التقى رئيس الجمهورية العراقية آنذاك، صدام حسين، بشيوخ العشائر من أجل ذلك. فضلا عن ما تقدم دعمت الحكومة العراقية برئاسة نوري المالكي العشائر في مناطق مختلفة من العراق في مقاتلة "الإرهاب" [6]. وكلما اقتربت الدولة من حل مشاكل التوزيع والمشاركة ضعف تأثير القبلية.

3- وجود هيئات تنشئة أخرى: كلما تعرض الفرد لهيئات تنشئة أخرى قل تأثير القبيلة عليه. فتعرض الفرد إلى تنشئة دينية من الهيئة الدينية قد يضعف من تأثير التنشئة القبلية عليه. ذلك لأن التنشئة الدينية أقرب إلى تنشئة الدولة الحديثة منها إلى القبيلة. فالإسلام على سبيل المثال لا يميز بين الناس على أساس القبيلة وساهم في أحلال العصبية الإسلامية

---

[1] د. عزمي بشارة، الخطاب السياسي المبتور ودراسات أخرى، مصدر سبق ذكره، ص 170-171.
[2] د. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سبق ذكره، ص 79.
[3] د. علي الوردي، "أنا وحدي ولكن محاط بالناس"، مصدر سبق ذكره، ص 81.
[4] د. لويس كامل مليكه، مصدر سبق ذكره، ص 570- 571.
[5] لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، راجع: د. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سبق ذكره، ص 199- 200.
[6] ملاحظة ميدانية للواقع العراقي, 1991- 1999, 2007.

الجامعة والواسعة محل العصبية القبيلة الضيقة. ومن الهيئات الأخرى المنافسة للقبيلة، يذكر الأحزاب السياسية [1].

يتضح مما تقدم، أن هيئة القبيلة لا تحتكر التأثير المطلق في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية العربية بسبب تأثير الحراك الاجتماعي، وظهور الدولة الحديثة، وتأثير هيئات تنشئة اجتماعية سياسية أخرى.

ما يُخلص إليه من كل ما تقدم في هذا المطلب، أن القبيلة هيئة تنشئة اجتماعية سياسية أولية مهمة، كونها أقرب إلى الفرد وهيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأولية من حيث قوة العلاقات الشخصية والمباشرة، والارتباط الدموي، وتتألف من البيت أو العائلة الصغيرة، والفخذ، والعشيرة أو القبيلة وشيخ القبيلة، وأن ما يهم من دراسة القبيلة هنا ليس وجودها العيني أو المادي الذي يعتقد أنه أندثر من الناحية المكانية والمادية وإنما دراسة وتتبع آثار القيم الاجتماعية البدوية التي لا زالت تؤثر في تنشئة الفرد وسلوكه، كما في استناد سلطة الدولة، على الأقل جزئيا على الولاء القبلي، وضعف تأثير الحراك الاجتماعي في تغير القيم القبلية، واستمرار تأثير القبيلة على باقي هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأولية والثانوية، وتتميز القبيلة بارتباطها جغرافيا بالصحراء، والاتصال المباشر والتلقائي بين أعضائها، وارتباط أعضاء القبيلة برابطة العصبية، القائمة على أساس القربى الدموية والنسب والجيرة والمصلحة المشتركة من أجل المعيشة والصراع من أجل البقاء في ظل مواجهة الصحراء بكل قسوتها واتساعها وندرة مواردها وطلب الماء والمراعي، وحماية الذات من الأخطار الفادحة، والتقاليد القبلية، مثل الافتخار بالنسب، ونصرة القريبين، واحترام أو طاعة الأهل والكبار في العمر، والثأر لمن اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل، والحشمة والشرف، والتعاضد والتكافل في الأفراح والأتراح وفي الطقوس الاجتماعية المختلفة والضيافة، والقسوة في الانتقام، وأن للقبيلة أدوراً مهمة في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية يتمثل بعضها في التنشئة على الولاء للمجتمع السياسية أو عكسه، وإكساب بعض القيم والخبرات الاجتماعية، والولاءات الحزبية والأيدلوجية، والطاعة للسلطات أو عدمه، وتحديد الهيئات الأخرى التي يتصل بها الفرد، واستمرار تأثيرها على باقي هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأخرى، وأن هيئة القبيلة لا تحتكر التأثير المطلق في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية العربية بسبب تأثير الحراك الاجتماعي، وظهور الدولة الحديثة، وتأثير هيئات تنشئة اجتماعية سياسية أخرى، وهذا ما ينقلنا إلى المطلب القادم لدراسة هيئة أخرى.

---

[1] حول منافسة الأحزاب لدور القبيلة في التنشئة، راجع: د. عزمي بشارة، الخطاب السياسي المبتور ودراسات أخرى، ص 173.

المبحث الثالث

هيئة النظراء (Peer Group):

يُفترض أن هيئة النظراء تُعد من بين هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية الأساسية التي تأتي بعد الأسرة والقبيلة من حيث الأهمية. يتطلب الأمر ونحن نبحث في هذا الموضوع التطرق إلى تعريف هيئة النظراء، وخصائصها ، وأنواعها، كما يتطلب الأمر الوقوف على العوامل الداعمة لتأثيره ودورها في التنشئة الاجتماعية السياسية. وسيتم تناول كل ذلك على التعاقب.

المطلب الأول:

تعريف هيئة النظراء وخصائصها.

أولا: تعريف هيئة النظراء:

تعرف هيئة النظراء على أنها تلك الجماعة التي تتكون من أعضاء يمكن أن يتعامل كل منهم مع الآخر على أساس من المساواة. وتقوم هذه الجماعة على أساس التشابه في السن أو الجنس [1]. كما تُعرف هيئة النظراء على أنها الجماعة التي تتميز بامتلاكها عامل مشترك معين، كالعمر أو التحصيل العلمي أو المنزلة الاجتماعية، الذي يعتقد بان له صلة بالقيم والعلاقات المتبادلة لأعضاء الجماعة [2]. كما يمكن أن تكون المنزلة الاقتصادية [3] أو الهواية [4] من العوامل المشتركة لجماعة النظراء. وتُعرف هيئة الأقران أيضا على أنها "هؤلاء الأطفال الذي يشبهون الطفل في المستوى الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي، وفي صفات أخرى كالسن" أو تصنيفهم على أساس تفاعلهم السلوكي المتشابه [5]. ومن أمثلة جماعة النظراء يذكر جماعة اللعب وزملاء المدرسة [6] وزملاء الفصل أو الجامعة أو العمل [7]. أو زملاء الشارع والملعب الرياضي والمقهى والنادي الاجتماعي. ويمكن أن تُشكل هيئة الأقران من المتزوجين أو المتقاعدين أو المطلقات أو الأمهات أو الآباء [8].

---

[1] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 31. كذلك أنظر: د. سمير خطاب، مصدر سبق ذكره، ص 54.

[2] Geoffrey K. Roberts, op.cit., P.148.

[3] د. سمير خطاب، مصدر سبق ذكره، ص 54.

[4] د. معن خليل العمر، التنشئة الاجتماعية، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 160.

[5] د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 351.

[6] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 31.

[7] د. سمير خطاب، مصدر سبق ذكره، ص 54.

[8] د. معن خليل العمر، مصدر سبق ذكره، ص 161.

obeikandl.com

يتضح مما تقدم، بأن هيئة النظراء هيئة تنشئة اجتماعية سياسية أساسية أخرى، تقوم على أساس المساواة، والتشابه في السن أو الجنس، أو التحصيل العلمي أو المنزلة الاجتماعية، أو المنزلة الاقتصادية أو الهواية، أو التفاعل السلوكي المتشابه، مثل جماعة اللعب وزملاء المدرسة، وزملاء الفصل أو الجامعة أو العمل، أو زملاء الشارع والملعب الرياضي والمقهى والنادي الاجتماعي، أو المتزوجين أو المتقاعدين أو المطلقات أو الأمهات أو الآباء.

ثانيا: خصائص هيئة النظراء:

يُفترض أن هناك بعض الخصائص التي تتمتع بها هيئة النظراء أو الأقران إلى درجة بحيث تعطيها صفتها أو هويتها الخاصة. ومن بين هذه الخصائص يذكر ما يأتي:

1- علاقة انداد: لا تمتلك هيئة النظراء تدرجا اجتماعيا ولا تمارس سلطة هرمية، ولا تكون علاقة إفرادها من النوع السطحي بل من النوع المتعمق [1]. إذ: " انها تتيح للطفل ممارسة علاقات يكون فيها على قدم المساواة مع الآخرين من الرفاق، في حين يحتل مركزا ثانويا في علاقته مع الراشدين في الأسرة والمدرسة" [2].

2- توافر ظروف خاصة: تتميز هيئة النظراء بتوفر ظروف خاصة بها كقرب محل السكن أو وحدة المكان الذي يرتادونه كالمدرسة أو النادي...، أو التقارب في الهواية أو الشعور بإمكانية إشباع بعض حاجاته عن طريق هذه الصداقة [3].

3- قضاء الوقت الطويل: تتصف هيئة النظراء بالوقت الطويل الذي يقضيه النظراء في رفقة بعضهم، سواء في المدرسة او أماكن أخرى [4]. إذ: " تلعب هذه الجماعات دورا هاما في عمليات التنشئة الاجتماعية السياسية...، وخاصة أن جماعات السن أو الأصدقاء تقضي مع الفرد فترات طويلة من الوقت سواء في اللعب أو المدرسة أكثر من مكوثهم في المنزل مع والديهم وأفراد أسرهم...." [5].

4- العلاقة المستمرة: تمتد العلاقات مع النظراء بشكل عام والأصدقاء على وجه الخصوص أطول بعد تلك العلاقات مع الوالدين [6].

5- توافر أجواء الحرية: يستطيع الفرد العضو في هيئة النظراء أن يتبنى معتقدات نظرائه

---

[1] المصدر السابق، ص 159.
[2] د. عمر أحمد هشمري، مصدر سبق ذكره، ص 352.
[3] د. عبد الله محمد عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ص 455.
[4] Anthony M. Orum, op.cit., p.220.
[5] د. شمران حمادى، مصدر سبق ذكره، ص 39-40.
[6] Anthony M. Orum, op. cit., P.221.

بحريته وليس تحت أي ضغط أو إجبار كما هو الحال مع علاقته مع الوالدين والبالغين الآخرين، خصوصا في مرحلة الطفولة التي تتميز بعلاقات سلطوية، حيث ان الطفل مجبور بحكم طبيعة العلاقة ان يقبل طلبات ويتبنى معتقدات والديه بسبب الخوف من فقدان عطف وعناية الوالدين [1]. أي أن القيود مع هيئة الأقران تكون أقل مقارنة بالأسرة والمدرسة [2].

6- حرية الانضمام: يمكن الفرد ضمن هيئة النظراء ان ينظم أو يترك بسهولة علاقات النظراء، عكس الحال بالنسبة للعلاقة مع الوالدين، على الأقل بالنسبة لمعظم الأطفال والمراهقين [3].

7- حرية النقاش: توفر هيئة النظراء أو النظراء أجواء الحرية مع جماعة النظراء أكثر من غيرها من الهيئات الأخرى خصوصا في المجتمعات المغلقة. أي أنها تشكل مصدرا للمعلومات غير الرسمية عن الموضوعات التي لا تتناولها المؤسسات الاجتماعية الأخرى، ولعل الجنس وما يتصل به خير مثال على ذلك [4].

8- وجود عوامل مشتركة: تتميز هيئة النظراء بوجود عوامل مشتركة فيما بينها كتقارب الأدوار الاجتماعية، ووضوح المعايير السلوكية، ووجود اتجاهات مشتركة بين أعضائها، ووجود قيم عامة فيها [5].

يتضح مما تقدم أن هناك خصائص تتميز بها هيئة النظراء مثل المساواة، وعمق العلاقات، والاجتماع في ظروف خاصة مثل قرب محل السكن أو وحدة المكان الذي يرتادونه كالمدرسة أو النادي، أو التقارب في الهواية أو الشعور بإمكانية إشباع بعض حاجاته عن طريق هذه الصداقة، وقضاء الوقت الطويل معاً كما في اللعب أو المدرسة، واستمرار العلاقة لفترة طويلة، وتوافر الحرية، وحرية الانضمام إليها، وتوافر عوامل مشتركة كالأدوار والسلوك والاتجاهات والقيم.

المطلب الثاني:

أنواع هيئة النظراء والعوامل الداعمة لها

أولا: أنواع هيئة النظراء:

ويمكن أن تصنف [6] هيئة النظراء إلى ثلاثة أنواع:

---

[1] Anthony M. Orum, op. cit., P.221.

[2] د. معن خليل العمر، مصدر سبق ذكره، ص 165.

[3] Anthony M. Orum, op. cit., P.221.

[4] د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 352, كذلك أنظر: د. معن خليل العمر، مصدر سبق ذكره، ص 161.

[5] د. معن خليل العمر، مصدر سبق ذكره، ص 162.

[6] رضوان شفيق، علم النفس الاجتماعي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1966، ص

obeikandl.com

1- جماعة اللعب: وتتكون هذه الجماعة تلقائيا بهدف اللعب واللهو.

2- العصبة: وهي جماعة التي تكون أكثر تعقيدا ولها رموزها الخاصة والمشتركة.

3- جماعة النادي: وهي الجماعة التي يشرف عليها الراشدون وتتيح فرصة النشاط الجسمي والنمو العقلي والتفريغ الانفعالي والتعلم الاجتماعي.

يتضح مما تقدم أن هيئة النظراء تشمل أنواعا معينة من قبيل جماعة اللعب، والعصبة، وجماعة النادي.

ثانيا: العوامل الداعمة لتأثير هيئة النظراء:

تستطيع هيئة النظراء أن تؤدي دورا بارزا ومتميزا في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية لأعضائها وذلك عند توافر بعض الشروط يذكر منها ما يأتي:

1- اختلاف هيئة النظراء عن الفرد: عندما تكون هيئة النظراء مختلفة تماما عن الفرد، وان الفرد لا يمكن ان يتخلص بسهولة من تأثيرها.

2- عدم التأثير المطلق للوالدين: عند عدم استيعاب الفرد بشكل كامل لمعتقدات والديه أو البالغين، وأنه لا يزال هناك بعض المجال للنمو في معتقداته [1]. كما يعتمد على مدى تقبله لمعايير الجماعة وقيمها واتجاهاتها [2].

3- اهتمام النظراء بالسياسة: كلما كانت هيئة النظراء مهتمة بالشؤون السياسية كلما زاد تأثيرها على أعضائها.

4- زيادة الولاء لهيئة النظراء: كلما زادت درجة ارتباط أو ولاء الفرد لهيئة النظراء كلما زاد تأثير هذه الجماعة عليه [3]. ولعل من بين أسباب زيادة ارتباط الفرد بهيئة النظراء هو ابتعاده عن الأهل بسبب الهجرة على سبيل المثال والتقاءه مع نظرائه من أبناء جاليته. هكذا كان العراقيون، على سبيل المثال، يتجمعون ويلتقون في أماكن معينة في المهجر [4]، مما يزيد من تأثير النظراء في التنشئة الاجتماعية السياسية.

5- ضعف الروابط الأسرية: كلما ضعفت الروابط الاجتماعية بين الفرد وأسرته كلما زاد تأثير هيئة النظراء عليه. أي كلما كانت علاقة الفرد بالأسرة تتسم بالقبول والتشجيع وان

---

167. نقلا عن: المصدر السابق، ص 162، 167.

[1] Anthony M. Orum., op.cit., p.222.

[2] د. معن خليل العمر، مصدر سبق ذكره، ص 161.

[3] Richard A. Watson, Promise & Performance of American Democracy, New York, John Wiley & Sons, Inc., 1973, p.148.

[4] لاحظ الباحث ذلك وهو يتنقل في بعض البلدان العربية والأجنبية خلال الأعوام، 1991، 1995-1997، 1999-2006.

obeikandl.com

لديه أحساس بأن والديه ذوو كفاءة، ونموذج للدفء، قل احتمال تأثير اقرانه عليه [1]. فضلا عن ما تقدم قد يتسبب حجم الأسرة الكبير وتشجيع أهل الطفل للخروج واللعب في الشارع، او ضجر الفرد من مشاكل الأسرة وتفضيله قضاء الوقت مع أقرانه إلى المساهمة في ضعف تأثير الأسرة عليه. وتساعد الأحياء السكنية الشعبية والظروف الجوية المعتدلة إلى لقاء الفرد مع اقرانه في الأزقة او أماكن اللعب والتجمعات. ويمكن القول يزداد تأثير هيئة النظراء كلما توافرت واحدة أو أكثر او جميع الأسباب المذكورة في الصفحات السابقة التي تحول دون احتكار الأسرة لعملية التنشئة الاجتماعية السياسية [2].

6- تشجيع الأسرة: يحصل في بعض الأحيان ان تقوم الأسرة بتشجيع أولادها على اقامة علاقات مع نظرائهم عندما تقوم بتشجيعهم على المشاركة في النشاطات الطليعية، على سبيل المثال. هكذا وجدت احدى الدراسات الميدانية في سوريا بأن 83,61٪ من أفراد العينة يتلقون تشجيع الوالدة بالمشاركة في المنظمات الطليعية مما يوفر لهم أجواء اكتساب أصدقاء جدد [3].

7- زيادة معدلات خروج الأم من البيت [4]. كلما زاد خروج الأم أو الوالدين من البيت زاد احتمال تأثير هيئة النظراء على الفرد.

8- تماسك هيئة النظراء: يزداد احتمال تأثير هيئة النظراء كلما زاد من تماسك هذه الهيئة والتفافها حول أهدافها. كما يعتمد على نوع التفاعل بين أعضائها [5].

يتضح مما تقدم، أن هناك عوامل تزيد من تأثير دور هيئة النظراء في التنشئة الاجتماعية السياسية لعل من بينها يُذكر اختلاف هيئة النظراء تماما عن الفرد، وعدم التأثير المطلق للوالدين، واهتمام هيئة النظراء بالشؤون السياسية، وضعف الروابط الأسرية، وتشجيع الأسرة لانضمام الفرد إلى هيئة النظراء، وزيادة معدلات خروج الأم من البيت للعمل أو التعليم، وازدياد تماسك هذه الجماعة والتفافها حول أهدافها. ولكن قد يمكن القول أيضا أن غياب أحد هذه العوامل أو بعضها قد يُضعف من دور هيئة النظراء في التنشئة الاجتماعية السياسية.

---

[1] د. سمير خطاب، مصدر سبق ذكره، ص 54-55.
[2] راجع خامسا في المطلب الأول من هذا المبحث.
[3] أمل محمد معطي، مصدر سبق ذكره، ص 195.
[4] د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 350.
[5] د. معن خليل العمر، مصدر سبق ذكره، ص 161-162.

obeikandl.com

المطلب الثالث:

دور هيئة النظراء في التنشئة الاجتماعية السياسية

تؤثر هيئة النظراء في تنشئة أعضائها في عدد من الجوانب يذكر منها ما يلي:-

أولا: اكساب التنشئة النفسية والحياتية والاجتماعية. وتشمل التنشئة النفسية والحياتية ما يأتي:-

1- إكساب النمو النفسي والجسمي والشخصية الاجتماعية: تساعد هيئة النظراء على إكساب الشعور بالاطمئنان والأمن حيث يتحرر الفرد من كبت نفسه عندما يلعب مع أقرانه ولا يشعر بالقلق من ارتكاب الأخطاء لأنه يرى أقرانه يقومون بفعل الأخطاء أيضا. وهذا الجو من الفعل والخطأ لا يوفره أو يقبله الكبار من أفراد أسرته [1]. وتعمل هيئة النظراء على نمو شخصية الطفل بصفة عامة واكتساب شخصية الجماعة. فهي تساعد الطفل على النمو الجسمي عن طريق ممارسة الأنشطة المختلفة، والنمو الاجتماعي عن طريق الأنشطة الاجتماعية وتكوين الصداقات، كذلك فإنها تشبع حاجة الطفل إلى الانتماء والمكانة الاجتماعية [2].

2- تنمية مفهوم الذات: تساعد هيئة النظراء على تنمية مفهوم الذات لدى الطفل. إذ تظهر عادة تقييمات واضحة وصريحة للأطفال [3]. وهناك علاقة كبيرة بين مفهوم الذات وتطوير قدرة الفرد على الاندماج والمشاركة الاجتماعية السياسية.

3- التنشئة على الاستقلالية: توفر هيئة النظراء فرصة لأن يصبح الفرد مستقلا عن والديه ومكان لتطوير معايير تقويمية للفرد بنفسه بمعزل عن معايير عالم البالغين [4]. إذ: "تساعد الطفل على الوصول إلى المستوى الاستقلالي الشخصي عن الوالدين، ففيها تنشأ عدة روابط عاطفية جديدة، ويتم الإقتداء بنماذج مختلفة ويحرص الطفل على أن يحظى باهتمام وقبول أقرانه مقوما نفسه من خلال معايير الجماعة وقيمها، وفي هذا كله يحقق نوعا من الهروب والتخلص من سيطرة الكبار وهو أمر ضروري لسلامة تنشئته اجتماعيا ليتجه نحو الاستقلال" [5]. و "أنها تساعد الطفل على الاستقلالية عن الوالدين وعن سائر ممثلي السلطة، وتوفر له فرصة اكتساب مكانة خاصة به، وتحقيق هوية متميّزة، تمكنانه من جعل نشاطاته

---

[1] ولمزيد من التفاصيل حول وظائف جماعة النظراء، راجع: المصدر السابق، ص 162-164.
[2] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 33.
[3] محمد أحمد صوالحة و مصطفى محمود حوامدة، مصدر سبق ذكره. ص 122-127. نقلا عن: د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 353، 366.
[4] R. Serge Denisoff & Ralph Wahrman, op.cit., p.173.
[5] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 32.

محور اهتمام أقرانه" [1]. وتأكيدا على أهمية هيئة النظراء، توصلت بعض الدراسات إلى أن الأصدقاء احتلوا المرتبة الرابعة، 4٪، كأهم شخص في العالم في الوقت الحاضر، وذلك حينما أجاب المبحوثين، من الذكور، عن السؤال حول من هو أهم شخص في العالم في الوقت الحالي. أي أن الأصدقاء كانت لهم مكانة مهمة بين أفراد العينة من المبحوثين. واحتلت الصديقات المرتبة الثالثة، 1,6٪، حينما أجابت المبحوثات بأن أعظم إنسان في العالم في الوقت الحاضر هو أحدى الصديقات. كما أحتل النظراء المرتبة الثانية، 21,3٪، بعد الأسرة باعتبارهم من بين الأشخاص القدوة في حياة المبحوثين من عينة البحث [2].

4- التنشئة على التكيف والاندماج: وعلى صعيد المدرسة، تزود هيئة النظراء الطلاب بشعور من الوحدة أو الاندماج وتساعده على التكيف مع حياة المدرسة [3]. هكذا وجدت أحدى الدراسات بأن النظراء احتلوا المرتبة الرابعة في التأثير الايجابي على مستوى التحصيل العلمي للطالبات المتفوقات مقابل المرتبة الثانية بالنسبة للتأثير السلبي على مستوى التحصيل العلمي للطالبات غير المتفوقات. وأشارت الطالبات المتفوقات إلى أن من بين أسباب ضعف التحصيل الدراسي بوجه عام يكمن في رفقة هيئة النظراء وأصدقاء السوء، 9٪، وقد أحتل هذا السبب المرتبة الرابعة، في حين جاءت هيئة النظراء وأصدقاء السوء في المرتبة الثانية، 20,1٪، من حيث دورهم في ضعف التحصيل الدراسي كما ذكرت ذلك الطالبات غير المتفوقات [4].

5- إكساب المهارات والخبرات والأدوار الاجتماعية: يحصل الفرد من هيئة النظراء، أصحاب المهارات المختلفة والأعمار المختلفة نسبيا، على نماذج ومهارات مفيدة لمستقبلهم القريب، على عكس البالغين الذين يعكسون نماذج مستقبل بعيد [5]. إذ: "تتيح جماعة الأقران لأعضائها فرصا لتوسيع آفاقهم الاجتماعية وإنماء خبراتهم واهتماماتهم، فهي تمثل ميدانا تجرب فيه الأعضاء كل ما هو جديد ومستحدث دون خشية من سيطرة الراشدين"؛ و"تساعد هذه الجماعات في إكساب الطفل الاتجاهات والأدوار الاجتماعية المناسبة والتي لا تكسبها (هيئات) التنشئة الأخرى، ففي أثناء مشاركة الطفل لجماعة الأقران في نشاط ما يكتسب ويتعلم أدوارا اجتماعية جديدة بالنسبة له مثل القيادة، كذلك دور الناصح للجماعة وهكذا، وهو في قيامه بهذه الأدوار يتعلم ما يرتبط بها من اتجاهات وتوقعات" [6].

ثانيا: اكساب القيم الاجتماعية السياسية:

---

[1] د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 352.

[2] محمد بن شحات الخطيب، مصدر سبق ذكره، ص 130، 133، 142-143.

[3] Kenneth P. Langton, op.cit, p.123.

[4] د. طلعت إبراهيم لطفي، مصدر سبق ذكره، ص 66-67، 71.

[5] R. Serge Denisoff & Ralph Wahrman, op.cit, p.173.

[6] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 32. كذلك أنظر: د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 352.

ثانيا: اكساب القيم الاجتماعية السياسية:

1- التنشئة على المساواة: تعطي هيئة النظراء التجربة الأولى لأعضائها في التعامل مع الأنداد كوضع عكسي عند التعامل مع البالغين كالآباء والمدرسين. إذ يقدم النظراء نوعا من الرفقة والاهتمام لا يستطيع الآباء توفيرها [1]. فهيئة النظراء: "تعطي جماعة النظراء للطفل فرصة التعامل مع أفراد متساوين ومتشابهين معه، وبذلك تجد أنماطا من العلاقات والتفاعلات المتساوية، الأمر الذي لا تتيحه له الأسرة ولا المدرسة، لما يتميزان به من وجود الراشدين وما لديهم من سلطة وما بينهما من درجات متفاوته من الرسمية والتشدد" [2].

2- الاعتراف بحقوق الآخرين: تساعد هيئة النظراء في تنمية الاعتراف بحقوق الآخرين ومراعاتهم...حيث يتوفر فيه التعامل الموضوعي المتوازن، ويطالب المشاركون في نشاط الجماعة بالعمل في نطاقها، كما تتضح حقوق أعضائها أو تنمو قواعد مشتركة يجب على الجميع احترامها [3].

ثالثا: أكساب التوجهات والتوعية السياسية:

1- التنشئة على المحافظة: تقوم هيئة النظراء بتصحيح التطرف أو الانحراف في السلوك بين أعضائها. فهي لا تسمح بالخروج عن معايير الجماعة المتفق عليها. وهي تحقق هذا بما لها من ضبط وسيطرة على أعضائها أقوى من ضبط وسيطرة أي فرد خارج الجماعة [4]. وفي هذا المجال، أظهرت أحدى الدراسات، أن الأصدقاء جاؤا في المرتبة الثالثة، 1,1٪، من بين الجهات التي يلجأ إليها طلبة وطلاب هذه المجتمعات من أجل النصيحة [5] في حين احتلت الأسرة والمدرسة المرتبتين الأولى والثانية على التعاقب كمصدر للنصيحة .. فضلا عن ما تقدم توصلت دراسة أخرى إلى أن الأصدقاء شغلوا المرتبة الثالثة، بعد الأسرة والمدرسة، كمصدر من مصادر النصيحة [6]. ووجدت دراسة ثالثة النتيجة نفسها حين تبين أن 7٪ من أفراد العينة يلجئوا إلى

---

[1] R. Serge Denisoff & Ralph Wahrman, An Introduction to Sociology, New York, MaCmillan Publishing Co., Inc., 1975, 173.

[2] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 32. كذلك أنظر: سمير خطاب، مصدر سبق ذكره، ص 54.

[3] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 33. كذلك أنظر: محمد أحمد صوالحة ومصطفى محمود حوامدة، أساسيات التنشئة الاجتماعية للطفولة، أربد، دار الكندي، 1994. ص 122-127. نقلا عن: د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 353، 366.

[4] د. السيد عبد القادر شريف، مصدر سبق ذكره، ص 32.

[5] فيصل السالم، أساسيات التنشئة السياسية والاجتماعية، مصدر سبق ذكره، ص 108-109، 179.

[6] Ahmad J. Dhaher, "Culture and Politics in the Arab Gulf States, in: Tawfic E. Farah & Yasumasa Kuroda, op.cit p.69.

الأصدقاء كمصدر للنصيحة، أي أن الأصدقاء احتلوا المرتبة الثالثة بعد الأسرة والمدرسة [1] . واتضح من خلال دراسة ميدانية بان هناك احتمالا كبيرا أن يقبل الأفراد المنخرطون في هيئة النظراء المعايير المتفق عليها من قبل المجتمع، واحتمالا اقل ان يطوروا معايير منحرفة عن المجتمع وان يميلوا إلى التطرف السياسي [2]. إذ "ان أحد الوظائف الأولية لجماعة النظراء هي نقل الثقافة الواسعة للمجتمع، والتي هي جزء منها" [3]. وتقوم هيئة النظراء بنجاح بدور تعزيز القيم الاجتماعية القائمة، خصوصا عندما يأتي النظراء من خلفيات اجتماعية- سياسية تتطابق قيمها مع قيم هيئة النظراء. فالطفل الذي ينشأ في عائلة من طبقة عاملة، فان تنشئته على قيم الطبقة العاملة ستعزز إذا ما انتمى إلى هيئة نظراء من الطبقة الاجتماعية ذاتها [4].

2- تزويد المعلومات السياسية: وجدت أحدى الدراسات، بأن هيئة النظراء تشكل المصدر الأول للمعلومات السياسية مقارنة بالوالدين والإخوان والمدرسة [5]. في حين وجدت دراسة أخرى بأن الأصدقاء احتلوا المرتبة الرابعة (10٪)، كمصدر للمعلومات العامة للفرد مقارنة بالأسرة التي احتلت المرتبة الثانية (47٪)، والمدرسة التي شغلت المرتبة الثالثة (17٪)، ووسائل الأعلام التي شغلت المرتبة الأخيرة (11٪). وأظهرت الدراسة نفسها بأن الأصدقاء سجلوا المرتبة الرابعة كمصدر للمعرفة. وعلى المستوى نفسه، توصلت الدراسة عينها، إلى أن الأصدقاء شغلوا المرتبة الرابعة (4,14٪)، بعد الأسرة ووسائل الأعلام والمدرسة، كمصدر للمعلومات السياسية من مصادر المبحوثين في هذه الدراسة [6].

3- التفضيل السياسي: يعتقد بأن التفضيل السياسي للفرد غالبا ما يدعم وبشكل مستمر من قبل الجماعة التي ينتمي إليها [7]. فقد وجدت إحدى الدراسات بأن 64٪ من المستطلع آراءهم لهم نفس التفضيل الحزبي لنظرائهم [8]. وشوهد أيضا تغير في التفضيلات الحزبية لبنات الكلية المنحدرات من أسر من طبقات محافظة ووسطى نحو اتجاهات ليبرالية، وكان ذلك، جزئياً، تحت تأثير العلاقات مع نظراء المدرسة [9].

---

[1] د. أحمد جمال ظاهر، التنشئة الاجتماعية والسياسية في العالم العربي, مصدر سبق ذكره، ص 118-119.
[2] Dean Jaros, op.cit., pp.125-127.
[3] Kenneth P. Langton, op.cit., P.124.
[4] Herbert McCloskey & Harold E. Dahlgren, op.cit., pp.772-775.
[5] فيصل السالم، أساسيات التنشئة السياسية والاجتماعية، مصدر سبق ذكره، ص 108-110، 115-116.
[6] سمير خطاب، مصدر سبق ذكره، ص 131-132.
[7] William C. Mitchell, op.cit.,, p.171.
[8] Herbert H. Hyman, op.cit, p.105.
[9] Dean Jaros, op. cit., p.129.

إكساب مهارات المشاركة السياسية: دلت إحدى الدراسات بأن الأولاد أو البنات غالبا ما يناقشون الأمور السياسية مع نظرائهم في المدرسة وخارجها أكثر من مناقشتها مع الوالدين [1] ووجد أيضا بأن اهتمام الفرد في الشؤون السياسية يزداد إذا كان للفرد اتصال بنظرائه وكان

4- له مشاركة مستمرة في نشاطات الجماعة. كما يؤدي هذا الاتصال والمشاركة إلى اكتساب سريع للاتجاهات ويزيد من الكفاءة السياسية [2].

رابعا: إكساب التغير الاجتماعي السياسي:

1- إكساب ثقافة فرعية أو مضادة: وفي الوقت الذي تقوم فيه هيئة النظراء في التنشئة على المحافظة على الثقافة، كما مر ذكره، فإنها في الوقت نفسه يمكن أن تقوم بالتنشئة على" قيم اجتماعية- سياسية" خاصة مكونه بذلك ثقافة فرعية خاصة بها [3]. وفي هذا المجال قد كشفت إحدى الدراسات بان طلاب الكلية طوروا بشكل متزايد ارتباطات قوية مع الطلاب الآخرين في السكن الجامعي بالشكل الذي أدى إلى تطابق اتجاهاتهم السياسية مع أولئك الطلاب، وبشكل يختلف عن اتجاهات والديهم [4]. فقد مثلت، على سبيل المثال، المعارضة الطلابية للتغلغل الأمريكي في جنوب آسيا في الستينات والسبعينات من القرن العشرين، ثقافة فرعية خاصة ومضادة تختلف عن ثقافة الجيل الذي أيد هذا التغلغل [5].

2- إكساب قيم سلبية: قد يعيق الأقران النمو الاجتماعي السليم فيدفع الأطفال إلى الانعزال أو الخوف. ومن أمثلة التنشئة السلبية هو السلوك العدواني الذي قد يمارسه بعض الأطفال تجاه أقرانهم مثل الضرب والاعتداء الجسماني والسخرية والتهكم... ومن نتائج تعرض الفرد إلى السلوك العدواني هو أنتاج سلوك يتسم بالخضوع أو الاستسلام، وبالقلق والانعزال وعدم الأمن والضعف الجسدي، واتجاه سلبي نحو الذات [6]. كما يمكن أن يؤدي الاتصال بمثل هولاء النظراء إلى التطبع بسلوكهم، أي ينشأ المتصل بهم على سلوك عدواني.

يتضح مما تقدم، أن لهيئة النظراء أدواراً مهمة في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية، كما في إكساب النمو النفسي والجسمي والشخصية الاجتماعية، مثل إكساب الشعور بالاطمئنان والأمن، ونمو شخصية الطفل بصفة عامة واكتساب شخصية الجماعة، والتنشئة على المساواة، وإكساب المهارات والخبرات والأدوار الاجتماعية، وتوفير حرية اختيار الأصدقاء،

---

[1] Herbert H. Hyman, op. cit., p.101.
[2] Robert D. Hess & Judith V. Toney. , P.120.
[3] Dean Jaros, op. cit., p.133.
[4] Anthony M. Orum, op. cit., pp. 220-221.
[5] Herbert R. Winter & Thomas J. Bellows, op.cit, p.127.
[6] محمد أحمد صوالحة و مصطفى محمود حوامدة، مصدر سبق ذكره، ص 131. نقلا عن د. عمر أحمد همشري، مصدر سبق ذكره، ص 354، 367.

والتنشئة على الاستقلالية، عن الوالدين وسائر السلطات الاجتماعية الأخرى، والتنشئة على التكيف والاندماج في حياة المدرسة مثلا، وإكساب قيم اجتماعية سياسية، كالاعتراف بحقوق الآخرين ومراعاتهم.. وتنمية مفهوم الذات، الذي يساعد على بتطوير قدرة الفرد على الاندماج والمشاركة الاجتماعية السياسية، والتنشئة على المحافظة والاندماج، وعدّها مصدراً للمعلومات السياسية، والتفضيل السياسي، وإكساب مهارات المشاركة السياسية، كالمناقشة السياسية التي من الممكن أن تزيد من كفاءة الفرد السياسية، وإكساب ثقافة فرعية أو مضادة، واكتساب قيم سلبية، كالسلوك العدواني.

ما يمكن أن يُخلص إليه من كل ما تقدم في هذا المطلب أن هيئة النظراء هيئة تنشئة اجتماعية سياسية أساسية أخرى إلى جانب الأسرة والقبيلة، تقوم على أساس المساواة، والتشابه في السن أو الجنس، أو التحصيل العلمي أو المنزلة الاجتماعية، أو المنزلة الاقتصادية أو الهواية، أو التفاعل السلوكي المتشابه، مثل جماعة اللعب وزملاء المدرسة، وزملاء الفصل أو الجامعة أو العمل، أو زملاء الشارع والملعب الرياضي والمقهى والنادي الاجتماعي، أو المتزوجين أو المتقاعدين أو المطلقات أو الأمهات أو الآباء، ولها خصائص معينة مثل وجود المساواة بين أعضائها، وعمق العلاقة بين أعضائها، والتجمع في ظروف خاصة كقرب محل السكن أو وحدة المكان الذي يرتادونه كالمدرسة أو النادي، أو التقارب في الهواية أو الشعور بإمكانية إشباع بعض حاجاته عن طريق هذه الصداقة، وقضاء الوقت الطويل معاً كما في اللعب أو المدرسة، واستمرار العلاقة لفترة طويلة، وتوفر الحرية، وحرية الانضمام إليها، وتوافر عوامل مشتركة كالأدوار والسلوك والاتجاهات والقيم، ولها أنواعا معينة من قبيل جماعة اللعب، والعصبة، وجماعة النادي، وأن هناك عوامل تزيد من تأثير دور هيئة النظراء في التنشئة الاجتماعية السياسية لعل من بينها يُذكر اختلاف هيئة النظراء تماما عن الفرد، وعدم تأثير الأسرة عليه بشكل مطلق، واهتمامها بالشؤون السياسية، وزيادة ولاء الفرد لها، وضعف روابط الفرد بأسرته، وتشجيع الأسرة على انضمام أبناءها إليها، وزيادة معدلات خروج الأم من البيت للعمل أو التعليم، وزيادة تماسك هذه الجماعة والتفافها حول أهدافها، وأن لهيئة النظراء أدواراً مهمة في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية، كما في إكساب النمو النفسي والجسمي والشخصية الاجتماعية، ونمو شخصية الطفل بصفة عامة واكتساب شخصية الجماعة، والتنشئة على المساواة وإكساب المهارات والخبرات والأدوار الاجتماعية والمحافظة والاندماج، وتوفير حرية اختيار الأصدقاء، والتنشئة على الاستقلالية والتكيف والاندماج، وإكساب قيم اجتماعية سياسية، وتنمية مفهوم الذات، وتزويدها للمعلومات السياسية، والتفضيل السياسي، وإكساب مهارات المشاركة السياسية، وإكساب ثقافة فرعية أو مضادة، واكتساب قيم سلبية.

وما يُخلص إليه من كل ما تقدم أيضا في هذا الفصل، أن هناك هيئات تنشئة اجتماعية سياسية أولية تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية السياسية. وقد اتضح لنا أن هيئة الأسرة أكثر تأثيرا من هيئة النظراء كون الأولى أول هيئة يتعرف عليها الفرد وما تقدمه له من غذاء مادي وروحي ونفسي وأقرب إليه من الناحية القرابية والعاطفية والاتصالية.

وما نخلص إليه أيضا، بالرغم من الدور الكبير الأسرة والقبيلة والنظراء في التنشئة الاجتماعية السياسية كهيئات تنشئة اجتماعية سياسية أولية، إلا أنه ظهر لنا أنها لا تحتكر هذه العملية بشكل مطلق، مما يدفعنا ذلك إلى الانتقال لدراسة هيئات أخرى.

obeikandl.com